الفصل العاشر

المسيح يتكلم علي الصليب

"الكلام الذي أكلمكم به هو روح و حيوة" (يو ٦: ٦٣)

الكلمات الأخيرة التي ينطق بها الراحلون من هذه الحياة تكون دائما عزيزة عند محبيهم، ولها شأن عظيم لأنها ثمرة كل الحياة التي عاشها الإنسان و نتيجة اختباراته.

فكلمات يسوع إذاً التي ألقاها و هو يحتضر علي الصليب لها قيمة كبيرة لعظم مركز قائلها، و لأنها آخر عبارات نطق بها صديق الجنس البشري بعد أن انتصر نصرة لم يسجل التاريخ مثلها. و كل كلمة منها تعد أعظم شأناً من آلاف الخطب لأنها تحتوي من المعني ما تحتاج إليه البشرية عامة. و بعضها لن تظهر قوتها في حينها بل ظهرت فيما عقبها من أجيال.

فها نحن نجثو بجانب صليبك يا ابن الله فبلغنا أخر كلماتك و أودعنا ختام وصاياك. نعم إن الآلام لم تذهلك عن أن تعلمنا. فاعطنا إذن أن نهتم بما كان موضع اهتمامك و أرشدنا إليه.

و كلمات يسوع المسيح على الصليب سبع، و هو عدد كامل و مقدس فى كتاب الله: كما إنها أيضا كانت إتماما لنبوات سبقت فأشارت بها.

فالكلمة الأولى تنبأ بها إشعياء (أش ٥٣: ١٢)
و الثانية إتمام لأشعياء (أش ٥٣: ١٢)
و الثالثة إتمام لنبوة سمعان الشيخ (لو ٢: ٣٥)
و الرابعة حرفيه ما ورد فى (مز ٢٢: ١)
و الخامسة إتمام (مز ٦٩: ٢١)
و السادسة (مز ٢٢ :٣١)
و السابعة (مز ٣١: ١٥)

و من هذه الكلمات:

ثلاث قيلت قبل الزلزلة و هى الأولى، الثانية، و الثالثة تمتاز بأنها كانت مملوءة من النعمة و البركة.

و أما الكلمات التى قيلت بعد الظلمة فإنها تشرح خدمته و كفارته.

و تدل هذه الكلمات أيضا على أن المصلوب اله متأنس، جاء لفدائنا و قدم ذاته ضحية طاهرة عنا ليرفع شأننا و يجدد طبيعتنا و يوفى للعدالة حقها عنا . و قد دعانا للإيمان. فمن آمن و اعتمد خلص، و من لم يؤمن به قد دين.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة الأولى

صفح عجيب

"يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (لو٢٣:٣٤)

انه لأمر طبيعى أن تكون أول كلمة يفوه بها السيد وهو على الصليب صلاة طلب الغفران للذين عاملوه بقساوة وحشية ،فان الذى قال "أحبوا أعدائكم . . . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم" (مت ٥:٤٤) كان لابد له أن يسير بحسب تعاليمه ووصاياه.

"يا أبتاه" فهو يعلن للآب أنه ابنه وأنه هو الذى يتألم ولكنه غفر لصالبيه ويطلب من أبيه أن يغفر لهم أيضا ، ويعتذر عنهم بأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. فكأنه يقول : ضع جرمهم على ولا تحسب عليهم ذنبا . أذكر أنهم خليقتك وأنت أب لهم . نعم هم أشرار ،ولكنهم أولادك و ها أنا قد أتيت لخلاصهم فأرحمهم كعظيم رحمتك .

أظهر السيد المسيح حينئذ أنه لا فاصل بين الصليب وعرش الله بل بثقة كان يشفع الابن فى صالبيه . نسى المسيح آلامه لما رأى الآب مغتاظا على صالبيه فطلب لهم الغفران . قال بولس عن المحبة إنها "لا تطلب ما لنفسها" (١كو١٣:٥). فالمسيح له المجد لم يلتفت إلى أوجاعه ولم يهتم بها ، ولكنه لما رأى أوجاع نفوس الخطاة اعتنى بها و طلب من أبيه أن يصفح عن خطاياهم،ومع ذلك لم يستعف من إتمام الفداء .فلم يقل له أنزلنى من على الصليب واعتقنى من المسامير وارفع عنى إكليل الشوك ، كلا بل قال : أطلق الخطاة من سجن خطاياهم . إن المسامير تربطنى بالصليب،ولكن الخطية تربط أصحابها بالهلاك.

إن الإنسان إذا أصيب بوجع شديد لا يبالي بشىء مطلقا ويصبح العالم بما فيه عديم القيمة لديه مقابل الشفاء من مرضه أما المسيح فمع ما كان يشعر به من شدة الوجع لم يكترث بذلك بل اهتم بنفوس الخطاة ليخلصهم من خطاياهم. لم يفكر في طريقة يخلص بها نفسه من الصليب وتكنه فكر في كيف يخلص قاتليه من ذنوبهم ، وبذلك راعي سنن المحبة التي تقضي بوجوب مساعدة من هم اشد حاجة إلى المساعدة. وكذا أظهر أن هلاك أولئك البائسين كان أشد إيلاما لنفسه الطاهرة من آلامه وعذابه . انه لم يذكر ذاته بل إياهم ذكره لنفسه لم يطلب علاجاً ولكن لخطاياهم صفحاً وغفراناً فما اعظم محبته .

قال القديس أوغسطينوس "انه يصل من أجل الذين تحمل قساوتهم ذاكرا انهم لم يميتوه بل هو الذي مات من أجلهم " قال اليهود لبيلاطس "اصلبه" أما هو فقال لأبيه "أغفر لهم". و بعمله هذا طلب لهم الحياة عندما كانوا يسعون وراء موته ، ومد يده ليضمد جراحاتهم بينما كانت تسيل منه دماء ضرباتهم له.

قال أحدهم "هو الكائن الأعظم صعد علي المذبح ومد يده ليصلي و فيما كان يقدم نفسه ذبيحة دافع عن الإنسان الخاطئ".

فمن يستطيع أن يصف مقدار محبة مخلصنا لنا، تلك المحبة كانت تملأ قلبه وهو علي الصليب . قال الرسول : "وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف ٣: ١٩) .

فلنتأمل إليه وهو يتقلب علي فراش الآلام الملتهبة ويغوص في أمواج الكآبة ، والأشرار يلتفون حوله كالجراد وهو مع ذلك يتأنى ويصبر بوداعة ولطف بل يشخص بعين الحب إلى الشامتين به الذين كانوا ثملين بخمرة الانتصار عليه ويرفع عينيه إلى أبيه السماوي ليطلب منه أن لا يذكر لهم هذا الذنب العظيم .

كانت كل أعضاء جسده مصابة ، ولم يكن في تلك الساعة عضو سليم سوي لسانه الذي لشدة ما حل بالسيد من الألم ونزف الدم والإهانات المرة كان يابسا كشقفة ومملوءا مرارة أشد من العلقم والافسنتين كقوله : "يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى" (مز٢٢:١٥). بهذا اللسان اليابس تضرع إلى الأب القدير ليصفح عن الخطاة الذين سببوا له تلك الآلام المرة.

قال صاحب النشيد "المحبة قوية كالموت .الغيرة قاسية كالهاوية .لهيبها لهيب نار لظى الرب مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة ،والسيول لا تغمرها "(نش٨ :٦-٧).

فالأوجاع التى سكبها الأشرار على هامة المخلص لم تطفئ محبته لهم ،تلك المحبة التى كانت متقدة فى صدره.

وهكذا يعاملنا الله فى كل يوم ،فبينما نرفع إليه شرنا ونقدم له كل إثم ، يتأنى هو علينا بل يمنحنا كل خيراته ، و يجود علينا بكل حسناته كقول الكتاب: "فانه منعم على غير الشاكرين والأشرار" (لو٦:٣٥) وإذا تبنا غفر لنا خطايانا وصفح عن زلاتنا .

فماذا يروم المخلص بذلك إلا أن ينتصر علينا بقوة المحبة ، لا بقوة الانتقام . كان موت المسيح هزيمة بحسب الظاهر ومع أنه مات بريئا إلا أنه لم يوجد من يدافع عنه ممن أحسن إليهم .

إن كثيرين من العظماء قد أصابهم ذلك بعينه ولكنهم لم يكونوا عظماء تحت هذه المصيبة .لقد نطقوا بكلمات مرة وماتوا لاعنين مسلميهم وقاتليهم ،أما يسوع فقد انتصر عندما قال للأب "أغفر لهم ".

قال أحد القديسين :من أجل من كان يسوع يصلى؟ من أجل اليهود الذين كانوا يميتونه وهو الذى قد أسبغ عليهم سوابغ نعمائه .انه كان يصلى لأجلهم وسط عذابه المبرح وألمه الفادح .فلو صلى لأجلهم بعد قيامته من بين الأموات حيث تكون أوجاعه زالت وأحزانه بادت وقد ذاق حلاوة أثمار موته لما كان الأمر عجيبا،إلا انه كان يطلب مسامحة أعدائه أمام أعينهم حين كانوا يشتمونه ويهينونه.انه طلب الغفران قبل أن يتكلم بعبارة أخرى حتى عن نفسه ،أو عن أمه ،أو عن يوحنا تلميذه.

ففى بستان الزيتون طلب النجاة من كأس الموت ولكنه قيد ذلك بقوله :إن كان يستطاع :أما عن أعدائه فقد طلب لهم الغفران بلا قيد ولا شرط .

هذا ما يجعل أحد العلماء يقول إن المسيح قهر الشيطان ،وزجه فى أعماق الجحيم عندما قال على الصليب "اغفر لهم".

وقال أخر : "إن لم يكن المسيح إلهاً لوجب إن يكون إلهاً عند الصليب لصفحه عن أعدائه الألداء".

وقال أحدهم :أنت أيها الابن لم تنظر إليهم العدو لأعدائه الحانقين بل كما ينظر الأب إلى أولاده الخاطئين ،أو كما ينظر طبيب إلى عليله وهو يهذى من شدة مرضه .فأنت لست بغاضب عليهم بل على هذا النحو تشفق عليهم وتقربهم إلى أبيك القدير لينالوا الشفاء.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

ثقوا أيها الخطاة جميعا بأن لكم عند المخلص غفرانا ،مهما تنوعت ذنوبكم .غفرانا لتجاديفكم أيها اللاعنون.غفرانا لأقسامكم الكاذبة أيها الحالفون .غفرانا لقبائحكم أيها الشهوانيون .غفرانا لنمائمكم وأحقادكم أيها الأشرار.

وقال أحد الأتقياء : ليت عيني يا مخلصى كانت مصباحا ،ودمى زيتا ،وأعصابى و لحمى شمعا وفتيلا، كل ما بداخلى وخارجى يذوب ويلتهب بحبك.

"لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

هذه عريضة استرحـام ، بسيطـة فى صورتها ، عميقة فى معناها ، جميلة فى مغزاهـا . هى أحسن عريضة رفعت إلى أب المراحم فى السماء . فاعتذار المخلص عن قاتليه قصد به تهوين ذنوبهم على أبيه حتى يصفح عنهم ، ومآل كلام المسيح إذاً هو أن الذين صلبوه لم يكونوا يدركون عظم مقدار الخطية التى ارتكبوها . و هذا وفق قول الرسول بطرس: "أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضا" (اع٣:١٧) و قول بولس : "لأن لو عرفــوا لما صلبــوا رب المجــد" (١كو ٢:٨).

على أنه يجب أن نعتبر أن المسيح لم يذكر ولم يحسب عدم معرفة الذين قتلوه عذراً كافياً لتبريرهم وحصولهم على الغفران ، و إنما ذكره إيضاحا وتبيناً لأحوالهم فقط، والحاصل أن عدم المعرفة وان يكن يخفف جرم الخطية وقصاصها إلا أنه يبرر الإنسان منها فعدم تقديرك لشخصى لا يخول لك ارتكاب الجريمة ضدى ، فالشر شر أينما وقع.

قال الحكيم : "أما يضل مخترعو الشر" (أم ١٤:٢٢) فالشر يفعل بالجسد الذى يميل إليه فعلاً رديئاً، فكثرة مزاولته تعمى الطبيعة الروحية فى الإنسان فلا يعود يستطيع أن يميز بها الخير من الشر ، فالخطية إذاً تعمى القلب و تقسيه إلا أن هذا العمى لا يصح أن يتخذ عذراً يحتج به صاحبه لأنه مسبب عن الإرادة و مرافق لها . فالخطاة الذين يرتكبون خطاياهم بجهل يؤاخذون عليها لأن الجهل نشأ من الإرادة.

فكل الذين يرتكبون الشر يفعلونه بجهل لأنهم لو عرفوا أن هذا الشر يهلكهم لما ارتكبوه ، بل يأتونه ملتمسين منه الفائدة، بل كثيرًا ما يختارون الشر فى صورة الخير . الذى يريد أن يرتكب خطية يغمض عينى العقل عن شرها ،ومثله مثل إنسان يريد أن يطرح نفسه من علو شاهق فيعصب عينيه أولا وحينئذ يرمى بنفسه . إلا أن هذا وذاك لابد من أن يأخذ كل منهما عقابه مهما كانت نيته من جهة الشر بأنه حسن أو ردىء.

أما إذا كان المخلص صفح عن قاتليه فليس لأنهم خالون من الذنب بل لأن محبته كانت شديدة بهذا المقدار. فكأنه كان يقول لأبيه : اغفر لهم لتظهر قيمة دمى و تأثيره الآن . هوذا قد جاء الوقت لترى أبنك معلقا على الصليب ، كما وأنه وقت فيه تصفح عن خطاة نظيرهم و تظهر شفقتك العظيمة عليهم . ولئن كانت خطاياهم عظيمة ومخيفة فأغفر لهم لعماهم وجهلهم ، لأن بعضهم اندفع بالتحريض ، والبعض الآخر بالخداع .

قال القديس باسيليوس : إن رحمة الله لدى تأملها خطايانا تتحرك فيها عاطفتان : عاطفة تحركها للانتقام من الخطية التى هى إهانة لقداسة الله وعدله . وعاطفة تحركها للشفقة علينا حينما ترانا رازخين تحت أحمال الشر الثقيلة ، وهذه العاطفة تتغلب على تلك.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

ولأجل من صلى المخلص؟ لقد صلى عن اللذين قاموا بصلبه من العساكر الرومانيين الذين أطاعوا أمر قائدهم ، وهم لا يعرفون شيئا .ولعلهم أيضا شملت جمهور الذين اشتركوا فى قتله برضاهم على عمل الرؤساء ، و بصراخهم قائلين (أصلبه) طوعا لأمر الرؤساء لأنهم اقتيدوا لهم كالعميان ،ولم يعرفوا أن يسوع هو ابن الله ، ولذلك لم يشعروا بفظاعة الإثم الذى ارتكبوه.

و قصد بها ثانية كل الجنس البشرى وتتناول الذي سبقوا صلبه من آدم والذين لحقوه إلي آخر العالم ، لأن خطاياهم هي علة تعليق المسيح علي الصليب ، فأنت وأنا ممن طلب لهم ابن الله المغفرة . فأي شكر يجب أن نقدمه لمخلصنا الذي اهتم بغفران خطايانا . وهل يليق بنا بعد ذلك أن نخالف أو نعارض له أية إرادة.

ولكن هل استفاد من هذه الصلاة رؤساء الكهنة الذين سمعوا تصريحه بأنه المسيح ابن الله ورفضوه عمداً . هذه هي خطية التجديف علي الروح القدس التي لا تغفر في هذا العالم ولا في الآتي (مت ١٢:٣٢) فالذين يعرفون النور ويطفئونه حتى لا يروا به قلما تشملهم هذه الصلاة . الذين بكبرياء وعناء قاوموا نعمة الروح القدس واستمروا في طغيانهم وعدم إيمانهم ؛ أولئك لا يجنون ثمر هذه الصلاة .

إن الجهل بعضه اختياري وبعضه غير اختياري ، فالذين يجهلون بغير اختيارهم قد صلي يسوع لأجلهم كقول الرسول بولس : "أنا الذي كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفتريا ولكنني رحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان" (١تي ١:١٣) اهتدي اللص وقائد المائة الذين شهدا للمسيح لأنهما بغير اختيار كانا جهلة ، ولكن قيافا الذي اختار جهله ورفض المسيح مع علمه أنه ابن الله لم يستفد من هذه الطلبة ولمثل هذا يقول الرسول : "أنت بلا عذر أيها الإنسان" (رو ٢:١)

أما يجب أن نتعلمه نحن أيضا من هذه الصلاة فهو وجوب الصفح عن أعدائنا المسيئين إلينا . فإذا كان الله مع جليل قدره قد صفح عمن آذوه ، أفعلاً ينبغي أن نغفر نحن لأعدائنا مع ضعة حالنا وحقارة أصلنا ؟

إن كثيرين يرون أنه فوق الطبيعة أن يصفحوا لأعدائهم عن ذنوبهم معتذرين بأن نفس الحيوانات العجماء تنتقم ممن يعتدى عليها، ولكن الإنسان العاقل ينبغى أن يكون تصرفه أفضل من الحيوان ولا يميزه عنه إلا إحسانه لمن أساء إليه فالذين لا يمكنهم التغلب على غيظهم و يسرعون للانتقام إذا ما تذكروا إساءة عدوهم إنما ينقادون لطبيعتهم الحيوانية . أما المرء الذى ينقاد لطبيعته الإنسانية العاقلة فانه لا يكتفى بالصفح عن المذنب إليه بل يحبه و يشفق عليه أسوة بالطبيب الذى يحب المريض ويبغض المرض .ويبذل جهده فى استئصاله . فأجتهد أن تعالج مرض عدوك بمحبتك و مؤاساتك له "فان جاع عدوك فأطعمه . وان عطش فأسقه إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير" (رو ١٢:٢٠،٢١) و الرسول بطرس يضع لنا مخلصنا نموذجاً فى ذلك بقوله : "الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر . الذى إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً و إذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل" (١بط ٢:٢٢،٢٣).

كثيرون يخافون أن يصبروا على أذى الأشرار لئلا تتوالى عليهم إهانتهم ، ولكن الحكيم يقول : "الجواب اللين يصرف الغضب و الكلام الموجع يهيج السخط" (أم١٥:١) إن قصاص الخطية لا يؤثر فى مرتكبها بمقدار ما يؤثر فيه الصفح عنه.

وان قلنا إن المسيح كإله متأنس استطاع الصفح عن صالبيه واما نحن كبشر فليس فى إمكاننا ذلك فعلينا إذاً أن نتأمل يوسف وهو يصفح عن أخوته ، و داود وهو لا يرضى بأذية شاول الساعى إلى قتله ، واستفانوس عندما كان يرجم بالحجارة و يصرخ بصوت عظيم قائلاً :"يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" (اع٧:٦٠) و الرسول بولس يقول: نشتم فنبارك . نضطهد فنحتمل" (١كو٤:١٢) و القديس كبريانوس لما حكم عليه بقطع رأسه و حضر السياف لتنفيذ الحكم طلب من أصحابه أن يدفعوا للسياف خمسة وعشرين ديناراً علامة على محبته له . ولما سمع السياف وصية الشهيد ارتعدت فرائصه و اهتز السيف فى يده ، ثم استرجع قواه ونفذ ما أمر به ،فلا شئ يؤثر فى النفوس أكثر من الصفح عن الإساءة .

و بكل تأكيد كان لصفح السيد أثر بليغ فى النفوس ما كان للانتقام أن يأتى بمثله ، ولا تزال هذه الحادثة رائحة زكية تفوح لجذب الكثيرين إلى عطيرها.

قيل إن مبشراً مسيحياً ذهب ليكرز بالإنجيل فى بلاد الهند فجاءه كاهن هندى فقص عليه قصة الصليب وكرر على مسامعه صلاة السيد فى طلب الصفح عن أعدائه . فأصغى الكاهن بكل انتباه إلى هذه القصة العجيبة و قد استرعى سمعه صلاة السيد لأجل صالبيه ، وما أنتهى المبشر من كلامه هذا حتى وقف الكاهن وقال : "اخرج من هنا . أغرب عن بلاد الهند لأنك إذا كلمت شعبنا بمثل هذا الكلام لا يمضى وقت طويل حتى تجرهم وراءك إلى ديانتك ، لأنه ليس عندنا فى كل كتبنا الدينية قصة مؤثرة مثل هذه".

قال الرسول:"لا تغرب الشمس على غيظكم " (اف٤:٢٦) إن كثيرين ينامون و العداوة كامنة فى قلوبهم . فماذا يعلمون لو داهمهم المنون عاجلاً وحملهم بما يطوون من العداوة نحو الآخرين. هل يستطيعون أن يلجوا باب السماء ليقدموا لله عداوتهم ؟

الكلمة الثانية

غفران عجيب

" الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس " (لو ٢٣ : ٣٤)

المسيح بين لصين ، البرىء بين المجرمين. ولماذا ذلك ؟ قال لهم عند القبض عليه : "كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني " (مت ٢٦ : ٥٥) .. لقد فهموا إذا أنه يستاء إذ يعامل كلص . لقد فضلوا عليه باراباس اللص السفاك وصلبوا يسوع بين لصين.

ولكن لا يوجد تدبير في العالم إلا ويستخدم لمجد الله مهما كانت علته وأسبابه، قال مار يعقوب السروجى : "هو الديان اختار أن يظهر الحكم على الجلجثة فأقام الخراف عن يمينه والجداء عن يساره" وضعوه بين الآثمة ولكنه دلنا على أنه يقبل الخطاة حتى وقت موته. فكان بين اللصين كراع وسط خراف ضالة، وكطبيب في عيادة المرضى. جذبوه للموت فأحيا المائتين. أدخلوه بيت الحكم فبرر الخطاة. سقوة كأس الآلام فضمد المجروحين وشفاهم.

ولنتأمل الآن في ما بدا من اللص اليمين وما بدا من المخلص. أظهر اللص إيمانا كاملا وأظهر المخلص عفوا شاملاً. تحل الضيقات بالبشر عقابا لخطاياهم، فمنهم من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع منها لقد عوقب اللصان بالإعدام صلباً ... فاعتبر اللص الأيمن بما حل به خلاف اللص الأيسر الذي أخذ يعير المصلوب . فقال له زميله لماذا تجاري هؤلاء اليهود في تصرفهم وهم بعد لم ينالوا عقاب إثمهم . ألا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل جوزينا.

فأى شئ أثر على عواطف ذلك اللص الأيمن وجعله يظهر مثل هذه الاحساسات الرقيقة . لا ريب أن دعة حال المخلص المصلوب قد أخذت بمجامع قلبه وغيرت حاله وأنارت ذهنه . ومما لا شك فيه أيضا أن سماعه له وهو يقول : " يا أبتاه أغفر لهم " كان له الفضل الأكبر في جذب قلبه إلى هذا المصلوب الخالي قلبه من العداوة لصالبيه ، فاعتقد أن الذي يغفر لمن يقتله لا يمكن أن يكون قد أتى ذنبا يستحق عليه الموت . فقال لرفيقه " أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا (يسوع) فلم يفعل شيئا ليس في محله " (لو ٢٣ : ٤١).

إن الإنسان الذي يشعر بخطاياه يشعر أيضا بأنه محتاج للرحمة . فشعور اللص بأنه مذنب قد قاده إلى أن يطلب من يسوع : " اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك " (لو ٢٣ : ٤٢) ... يا للعجب هوذا بطرس ينكر سيده أمام جارية، واللص يصارح بإيمانه علانية !! .. التلميذان اللذان كانا منطلقين إلى عمواس يقولان : " ونحن كنا نرجوه" واللص يقول برجاء وطيد " اذكرنى " ! .. توما يصرخ بأنه لا يؤمن إلا إذا عاين المخلص الذي قام من الأموات وجها لوجه ، واللص يعترف به ملكا على الصليب ! قال القديس اوغسطينوس : " هل يمكن أن يفعل الشر من يكون مع المسيح ، وأن يفعل الخير من يكون بعيداً عنه ؟ " . قال أحدهم : "إني أقول عن هذا اللص تمجيداً لله إنه بتصرفه وإيمانه الحي أخجل جميع الذين كانوا واقفين حول صليب المسيح . بل لقد أخجل وأخزى الرسل أيضا لأجل ضعف إيمانهم واضطراب قلوبهم ولم يزل يخجل كل الذين يرفضون الإيمان بالمسيح الذي هو الآن جالس عن يمين الله في السماء إذ أنه قد آمن به وهو معلق على الصليب في أعمق وادي الاتضاع والهوان ."

إن الله قد كشف الحق للص الأيمن فاستخدم هذا النور لفائدته، وكثيرون يكشف لهم الله حالتهم فلا يقتنعون . وبالتالي لا يقبلون على طلب الغفران . ولكن اللص أسرع بانتهاز الفرصة قبل فواتها وطلب الرحمة في حينها . لذلك استحق أن يسمع الصوت القائل : " اليوم تكون معي في الفردوس " .

كان أعداء المسيح شامتين به . وكان أحباؤه يائسين من خلاصه ، ولكن اللص الأيمن وحده هو الذي كان يدافع عن المخلص أمام رفيقه. ولأجل ذلك أعطاه الله النور فعرف به طريق الخلاص وسار فيه حالا قائلا للرب "اذكرنى" .

استرحام عجيب قدمه اللص للمخلص شاهداً عن نفسه بأنه خاطئ، وعن المخلص بأنه غافر . توسل إليه بانكسار في وسط شماتة الأعداء فيه وحزن الأحياء عليه. نعم فإن اللص وحده هو الذي استطاع أن يرى مجد الفادي في وسط الظلام الذي كان يكتنف الصليب.

إن الله لم يترك نفسه بلا شاهد في كل الأزمنة ، حتى وهو على الصليب وجد من يشهد له . لقد كان اللص هو الشاهد الوحيد بلاهوت المسيح . إن السيد وجد كثيرين بعد قيامته يقولون له (يا رب) أما على الصليب فلم يجد من يقول له (يا رب) غير اللص ، ونفهم من هذا أن الشرير لا يخلو من صلاح ولكن هذا الصلاح يحتاج إلى قوة لتظهره، وليست هناك من قوة يمكن أن تظهر من الشرير صلاحاً كالتأمل في آلام المسيح.

يخبرنا الكتاب أن كلا اللصين كانا يجدفان عليه في مبدأ الأمر ، ولكن آلام السيد المسيح وصبره عليها جعلت اللص الأيمن يسكت عن التجديف، ثم أخذ ذلك الفم الذي كان يجدف قبلا أن يعترف بلاهوت المصلوب معه ولم يشك في أن ملكه يبتدئ بعد موته كقوله له المجد : " لهذا يحيني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضا " (يو ١٠ : ١٧).

فيا ترى من الذي أعلم اللص بهذه الأسرار العويصة حتى عرف أن المصلوب معه إله ، وملكه أبدى، مع أنه كان يتوجع من الألم وهو عريان والدم يسيل على جسده لذي أثخنته الجراح ؟ كان اليهود يهزئون به ظناً منهم أنهم قد انتصروا عليه وأفقدوه ملكه الزمني. لا ريب أن هذه الأسرار قد كشفها له روح الحق. نعم دعا اللص المسيح ربه مع انه مصلوب مثله! ففي هذا الاعتراف.

إيمان ورجاء ومحبة وتواضع

فهو لم يقل له " إذا كنت تقدر أن تذكرني " بل قال له بإيمان كامل " اذكرني " وكأنه بذلك يقول له " كل شئ مستطاع لديك " . لم يقل له " إن كنت تريد أن تذكرني " لأنه لم يشك في محبته . ولم يطلب أخذه معه فقد اكتفى إتضاعاً منه بأنه يتذكره فقط . كأنه يقول له : يا رب الرحمة غير المحدودة لا تنسني متى جئت في ملكوتك . إلى أين تؤدي بي خطاياي الكثيرة . انه يكفيني منك أن أرى بارقة صغيرة من مجدك وأن أجد قلبك متسعا ليكون لي فيه محل ، فلا انسي منك لا أطلب عفواً ولا حبا لأني أثيم بل أطلب منك ذكرا لي فقط.

قال أحد أساقفة أورشليم في العصور الأولى : أيها اللص من علمك هذا التعبد لهذا الإنسان المحتقر و المرذول المعلق معك على خشبة ، نعم لقد علمك النور الأبدي الذي ينير للذين في الظلمة وظلال الموت. قد حكم على آدم أبيك بالموت آجلا وأما أنت فيحكم لك اليوم بالعفو عاجلا ... قال القديس اغريغوريوس : " إن اللص قدم حينئذ كل ما كان ممكنا له أن يقدمه لمخلصه ولو

كانت يداه ورجلاه مطلقة لاستخدمها في خدمته ، ولكنه لم يكن يملك من الأعضاء الحرة في جسمه سوى قلبه ولسانه فاستخدمهما ليمجد بهما الله . بقلبه آمن ، وبلسانه أعترف ، وتم عليه قول الرسول : " لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت " (رو ١٠ : ٩).

فاللص إذاً لم يخلص لأنه اعترف فقط بل لأنه آمن وأحب ، والله لا يغفر لنا خطايانا لأننا نعترف بها فقط ولكننا ننال الصفح إذا أمنا انه قادر على الغفران وأحببناه وحملنا هذا الحب على إدراك أن مغفرته لنا ستكون من حبه لنا ، قال القديس أغسطينوس عن اللص اليمن : لما كان لصاً إلى النهاية تمكن من سرقة السماء ذاتها !!

هذا ما ظهر من اللص فلنرى ما ظهر من المخلص ، الرحمة الكاملة : فإن اللص طلب منه أن يذكره في (اليوم) الأخير في ملكوته ، أما المخلص فأجابه (اليوم) ولم يقل له ، بعد أن تكفر عن آثامك أعواماً أو شهوراً أو أياماً سآتي بك إلى الفردوس . بل قال له (اليوم) أي قبل غروب الشمس ستنتقل من الصليب إلى الفردوس ! .. فيا لعظيم جود المسيح وكثرة تحننه ، لقد أظهر المخلص في كلمته الأولى : " أغفر لهم " أنه كاهن يشفع في المذنبين .. وأظهر في كلمته الثانية هذه : أنه ملك مستعد أن يقبل التائبين إليه في دار ملكه.

ثم لم يرضى المخلص أن يرد على شاتميه ولاعنيه ، ولكنه لم يسكت عن أن يقبل ألتماس اللص فقال له : سأنقلك حالاً من دار الشقاء إلى دار البقاء ، ومن عناء الصليب إلى هناء الفردوس . إن الذين يخدمون العالم لا ينالون منه أجراً يوازى يسيراً من تعبهم . اللص الذي قضى حياته يخدم العالم ولم ينل منه غير الصليب .. فأنه لما أحب المسيح بشعور حي مدة وجيزة نال ذلك الأخير الذي لا يتصوره عقل بشري !! .. فهو إذاً من أصحاب الساعة الحادية عشرة ، وعليه ينطبق قول المخلص مخاطباً واحداً من أصحاب الساعات الأولى : " إني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي " (مت ٢٠ : ١٤ ، ١٥).

يسوع يعطي أكثر مما نتصور بل أكثر مما نستحق ، أسمعه يقول لبطرس : " لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستتبعني أخيراً " (يو ١٣ : ٣٦).. ولكنه يقول للص " اليوم تكون معي " . إنك اليوم تقيم معي في الأحزان ، وفي نفس هذا اليوم تقيم معي أيضا في الأفراح. خطف الشيطان آدم من الفردوس وسلمه للجحيم ، ولكن المخلص الإنسان وهو على أبواب الجحيم ورده إلى الفردوس.

أيها الأحباء هل ترون ذلك اللص اليمين المعلق على الصليب بجانب المسيح ؟ .. هل ترون العرق اللزج المتصبب من جبينه ؟ .. هل ترون اصفرار الموت على وجهه ؟ .. هل ترون الكآبة الخرساء التي تعلو جبهته ؟ .. هل تشاهدون أشباح الموت التي تحوم فوق رأسه ؟ .. هل تلاحظون شياطين جهنم المتجمعة عند قدميه منتظرة أن تلتهمه كلقمة سائغة ؟ .. تأملوا في قلبه لتروا ظلام جهنم وسوادها الحالك متجمعة فيه .. ذلك اللص وهو يقدم واحدة في الحياة والأخرى في الممات ينطق صلاته المشهورة : " اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك ".. والآن أعيدوا النظر إليه . أين العرق اللزج الردىء ؟!.. أين الاصفرار الشديد ؟ !.. أين الكآبة الخرساء ؟!.. لقد تبددت كلها كسحابة صيف وحلت محلها ابتسامة الملائكة ، أين شياطين جهنم ؟!.. لقد هربت وتشتت شملها وناب عنها السارافيم بأجنحة بيضاء متألقة ، ينتظرون اختطاف نفسه التي أصبحت درة ثمينة يزين بها إكليل رب المجد : أين كلمة " مدان " التي كانت مكتوبة فوق صدره ؟!.. لقد محيت وأبدلت بكلمة " مبرر " . أين الظلام والسواد الذي كان يملأ قلبه ؟!.. تبدد وأصبح قلبه مضيئاً دونه نور

الشمس ! ألقوا نظرة أخرى بين الممجدين : من هو ذلك الجالس بينهم الأكثر لمعاناً من الشمس والأبهر جمالا من القمر ؟ ذلك هو اللص !.. فما أسرع هذا التغيير : في الصباح يسير مجدفاً وفي المساء يشترك مع جوقة الملائكة مرتلا مرنماً .. في الصباح يساق كمجرم وفي المساء يصير مبرراً مخلصاً من خطاياه !.. في الصباح محكوم عليه بالموت كأنه غير مستاهل أن يعيش بين البشر ، وفي المساء مقبول ومرحب به كأنه أهل لأن يعيش بين سكان السماء !..

قال القديس أوغسطينوس : " إن المسيح قال له كلمة ، الحق أقول لك ، بمثابة قسم حتى يتأكد اللص لأن الجزاء الذي وعده به هو في غاية العظمة حتى لا يصعب عليه – إذ يتصور حاله – أن يصدق أنه ينال ذلك المجد العظيم، كما لا يصعب عليه أن يصدق كيف يمكن المسيح، وهو مصلوب ، أن يمنح هذه العطية الفاخرة. ثم إن اليهود كانوا يتصورون أن الفردوس كان مقراً للأجساد لا للنفوس، فلذلك أكد له المخلص قائلا : " الحق أقول ".

وإذا كان اللص قد فرح لأنه خلص ، فالمسيح قد سُرّ أكثر لأنه رأى فاعليه دمه واقتداره على تطهير أشر الخطاة ، وأن صليبه قد صار عرشاً ملوكياً للعدل والقوة، فملك عليه الرحمة، وغفر للخاطئ لكي يظهر للعالم أن موته على الصليب هو خلاص للهالكين.

إن الفردوس الذي أشار إليه المخلص هنا هو المكان الذي ترتاح فيه نفوس المؤمنين بعد موتهم إلى يوم القيامة، حيث يكونون في حضرة المسيح متمتعين بأثمار شجرة الحياة نظير آدم وحواء لما كانا الأبرار أولا كعربون لمجد الحياة التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر.

لقد قال المخلص للص اليمين : " اليوم تكون معي في الفردوس " ولم يقل " تكون معي في ملكوتي " لأني الملكوت موضع سعادة النفس والجسد معاً ، ولا يأتي هذا الملكوت إلا في يوم الدين حيث تلبس النفوس أجساداً خالية من الفساد ، فلا يمكن للص أن يرافق المسيح إلى ملكوته قبل يوم القيامة العامة، فالمخلص إذاً كان يخاطب روح اللص عن الموضع الذي ستسكن فيه، وهو موضع أرواح جميع المؤمنين قبل القيامة.

ومما تقدم نلاحظ ما يأتي :

١ـ أتساع مراحم الله للذين يخدمونه بإخلاص ونشاط ، لأن آلامه لم تشغله عن الانتباه إلى اللص الطالب خلاص نفسه : وهو في سمائه يصغي للخاطئ التائب ويمنحه غفران خطاياه، ويصمت لدى مشاهدته الألوف يجدفون على أسمه المبارك . فيسوع يهمه أمر خلاصنا ، أكثر مما يهمنا نحن حتى أنه مات لنحيا إلى الأبد.

٢ـ إن الصليب الذي أعتبر في نظر الناس مظهراً للضعف ، كان في الواقع برهان الجلال والقوة إذ انهزمت به جيوش الأعداء وانكسرت أمامه شوكة الموت وبطل سلطان الهاوية.

٣ـ نتعلم من هلاك اللص الأيسر أن علة هلاك الإنسان قساوة قلبه، فإذا قيل لماذا منح المخلص المغفرة للص الأيمن ولم يمنحها للأيسر، نقول لأن الأخير وضع خطيته حاجزاً بينه وبن النعمة. ومن هنا نفهم أن نعمة الله لا تتم بدون الحرية البشرية .. فالخلاص مع أنه من الله مجاناً إلا أنه يتوقف على إرادة الإنسان ونعمة الله معاً . إن رقة قلب السيد المسيح في صفحه عن قاتليه لم تؤثر في اللص الأيسر ولم يلينه القصاص ولا توبيخ شريكه التائب ولا الظلام الخارق للطبيعة ولا الزلزلة ، مع أن شريكه تاب قبل حدوث هذه الأمور . فنعمة الله كانت تكفي لخلاص الاثنين معا،

ولكن هلاك الواحد لم يكن إلا لعله في شخصه ، كما أن خلاص الآخر كان بنعمة الله التي اشتركت مع إرادته الحرة.

إن الوظيفة الملائكية نفسها لم تمنع بعض الملائكة من السقوط ، وكذا الوظيفة الرسولية فأنها لم تمنع يهوذا من الهلاك، فمراحم الرب الواسعة لا تضمن للنفس الحرة نوال الخلاص مادامت لا تستخدم هذه المراحم للحصول عليه.

٤- جهل الذين يؤخرون توبتهم لحين الموت . قال الرسول بولس " اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣ : ١٥) والذين ينتظرون التوبة ساعة الموت ، لهم في اللص الأيسر أخطر عبرة فإنه لم يرق ليسوع مع أنه كان شريكه في آلامه ، فكم من نفوس كانت تتوقع الخلاص عند الموت ، ولكنها رأت قلوبها وهي في حالة الاحتضار اقسى منها في حالة الصحة ، ففارقت الحياة وهي تجدف وتلعن وتصخب.

إن اللص الأيسر قد هلك لأنه لم يفكر في خلاص نفسه كاللص الأيمن ، بل فكر في خلاص جسده بقوله " إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا " (لو ٢٣ : ٣٩) . كثيرين من الخطاة عند الموت عوضا عن الانتباه لما يخص نفوسهم يهتمون بأمر الشفاء من المرض حتى يموتوا بخطيئتهم . كان اللص الأيسر ينسب عذابه إلى عدم قدرة المسيح على خلاصه ولم يذكر شروره التي سببت له الموت ! كثيرون إذا عوقبوا على خطاياهم لا يذكرونها ليندموا عليها بل يتذمرون على الرب لأنه يعاقبهم ولم يدعهم يسلكون الطريق الذي يحبونه. غبي ذلك الذي يؤجل توبته لساعة الموت فإنه إن اتفق وحصل واحد على نعمة الندامة في آخر حياته، فإنه لا يحصل عليها الجميع .

فلنصرخ إذاً الآن قائلين : " اذكرنا يا رب" .

٥- إن وعد الله بقبول الخاطئ تناول أشر الناس نوعاً ، وياله من وعد مفرح ومبهج للذين ملأ قلوبهم من جراء خطاياهم المميتة . إن فعل دم المسيح أقوى من فعل خطاياك ، وبره يستطيع أن يستر أثمك فأتكل عليه من كل قلبك وأسند رأسك على صليبه وثق أنه مات لأجلك ، وحينئذ ينفجر لك أيها الخاطئ الأثيم ينبوع تعزيات لا ينضب وتختبر في يسوع حنواً عجيباً على التائبين ، لم تكن لتحلم به من قبل.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة الثالثة

عناية عجيبة

"يا امرأة هوذا أبنك . . . هوذا أمك" (١٩ : ٢٦، ٢٧)
"وأنت فى نفسك سيف لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" (لو ٢ :٣٥)

أوجاع السيدة العذراء :-

قبل أن نتأمل فى كلمة المخلص الثالثة نتأمل فى آلام أمه المغمومة ، وهى تشاهده معذباً ، إتماما لنبوة سمعان الشيخ "وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف".

إن السيدة العذراء إذ سمعت هذه النبوة وإذ علمت أن أبنها هو مخلص العالم أيقنت بحلول تلك الساعة التى سيرتفع فيها على الصليب . فكم كانت آلامها إذاً شديدة وكم كان وجعها مؤلم . إن الأم إذا شاهدت أبنها مريضاً تذوب غما وهى لا تدرى أينتهى مرضه بالموت أم بالحياة . أما العذراء فكانت طول حياة أبنها تشاهده كمريض وهى متأكدة من صلبه وموته ، فلازمها الحزن العميق طول حياتها لهذه الذكرى ، قال أحدهم "كانت السيدة العذراء ترضع أبنها . ومن قطرات ذلك اللبن البتولى التى كانت تتساقط من فمه كانت تستدل على قطرات الدم التى سوف تتساقط من جسده يوم صلبه . بل كانت تقول أن هذا اللبن الذى يرتشفه أبنى الآن سوف يصير دماً يهرق" وذلك كقول العروس فى النشيد "صرة المر حبيبى لى بين ثديى يبيت" (نش ١ : ١٣).

حقاً إن حزن إبراهيم كان عظيماً على أبنه إسحاق وهو صاعد معه إلى الجبل مدة الثلاثة الأيام التى قضاها معه متوقعاً له الذبح ، ولكن حزن السيدة العذراء قد أمتد وطال إلى ثلاثين سنة . فتأملى أيتها النفوس التقية فى حياة العذراء المباركة التى كانت آلامها متتابعة، وكم كانت تعتبر حياتنا سعيدة لو كنا نقضيها فى تأمل آلام مخلصنا لكى ننال أخيراً الغبطة التى نالتها العذراء باحتمالها هذا الألم الشديد جداً.

لنتأمل فيما جرى حتى نعرف حدة السيف الذى جاز فى نفس أم المخلص . لا ريب أنها علمت ليلة صلبه بما سيتم له ، فكيف كانت حالتها فى تلك الليلة ! قال أحد الأتقياء : كيف صرفت تلك الليلة العظيمة ، ليلة آلام وموت حبيبك إذ كان الجميع نائمين ومنهمكين فى الملاهى والملاعب . لا شك أنك بقيت ساهرة إلى الصباح وكانت كما قال أرميا "تبكى فى الليل بكاء ودموعها على خديها" (مر ١ :٢) .

جاء يوحنا الحبيب إلى أم معلمه فى الصباح واخبرها أن أبنها الآن يحمل صليبه ويصعد به إلى الجلجثة، وطلب منها أن تقوم لتودعه الوداع الأخير فقامت لتستقبله ، وبينما كانت فى الطريق التى سيمر فيه سمعت ضجيج العساكر وصراخهم ، وشاهدت آلات العذاب يحملها الجنود قدامه ، ورأت وحدها وهو يحمل صليبه مثقلاً من الإعياء والدم يسيل من أعضائه ز تأملت فى جسمه وكانت الجلدات قد مزقته . ففى الحال توالت جلدات الحسرة على قلب أمومتها ، فكان جسم أبنها يقطر دما ، وعيناها تجرى منها العبرات كالنهر . رفعت عينيها إلى رأسه فإذا به تراه مكللا بشوك حاد ووجهه مغطى من الدم الجارى عليه من وخزاته ، فللحال وخزها هذا الشوك فى هامتها و انطلقت تبكى بكاء مراً.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

يا له من منظر يفتت الأكباد. هل يا ترى بقيت عندها قوة تقف بها لتشاهد أبنها و هو مار بها ؟ هل بقيت لها قدرة لتلمس من صالبيه رحم به ؟ أبقى لها استطاعة أن تتنفس حتى تفتح فمها وتسلم على ابنها سلام الوداع الأخير ؟ لم يبقى لها نفس ولا قلب ولا جلد. ولكنها إذ كانت قد كلت من كثرة الأوجاع نظير أبنها ، فبالكاد بعد الجهد الكبير استطاعت أن تفتح فمها وتقول أه يا ابنى آه يا ولدى ! ما أحد السيف الذى يجوز الآن فى قلب أمك .أأنت وحيدى الذى أرضعته؟ أأنت أجمل بنى البشر؟ أكاد لا أعرفك يا ابنى، وجسدك كله جرح واحد، من أخمص قدمك إلى هامة رأسك .

من يستطيع أن يعبر لنا عن مقدار شوق الأم حينئذ إلى الاقتراب من ابنها و التكلم معه ؟ لقد لبثت واقفة إلى أن مر بها فوقعت عين الابن على عين الأم . ووقعت عين الأم على عين الابن ، ومن لا يذوب أسى إذا مثل فى خاطره هذا المشهد المؤثر .

قيل أن فتاة شاهدت والدها وهو ذاهب إلى الموت فلم يمكنها إلا أن تصرخ "أبى ، أبى" ثم وقعت عند رجليه مغشياً عليها . فأى بحر أحزان غمر أم المخلص حينئذ . وأية كآبة دخلت إلى قلب الابن لدى مشاهدته أمه فى تلك الحالة التعسة ؟

قال أحد القديسين "إن مريم أرادت أن تعانق يسوع وتقبله ، لكن الجنود انتهروها ولم يسمحوا لأبنها أن يقف قليلاً ليروى غليل أمه الحزينة وحينئذ أخذت تتبع وحيدها . أيتها العذراء القديسة إلى أين أنت ذاهبة ؟ إلى جبل الجلجثة ؟ أيمكنك الوقوف عند صليب وحيدك . أيمكنك أن تشاهديه فى غصص الموت منازعاً متروكاً من الجميع " ؟ آه لقد صاحبت الأم أبنها إلى الجلجثة وهناك شاهدت العذبين يعرونه من ثيابه ويمدونه على الصليب ، ويضعون المسامير فى بطن يديه ويمسكون المطارق ليدقوها أيتها الأم لماذا لم تضعى إصبعك فى أذنيك حتى لا تسمعى صوت المسامير فى يديه ورجليه . نعم لقد راعك سماع الضربة الأولى وكدت تسقطين حتى حول أبنك وجهه من شدة الكآبة ، وأخذ يئن أنينا عميقا عندما سمع صوت عويلك .

رفعوه على الصليب وأمه باقية لم ترض أن تبرح ذلك المكان لتشهد ساعة احتضار أبنها ، وجعلت تقترب من الصليب ، ويوحنا بجانبها بدليل تمكنهما من سماع وصيته وهو على الصليب ، ويوحنا نفسه يقول "وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه" (يو ١٩ : ٢٥)

من عادة البشر أنه إذا حكم عليهم بالموت يرفضون حضور أقاربهم ومعارفهم ولاسيما وقت التنفيذ حتى لا تزداد آلامهم برؤيتهم . أما المسيح فلم يكتف بما تكبده من الأوجاع الشديدة فى ذلك الموقف المحفوف بالإهانات والمظالم بل أراد أن يحضر – لمشاهدة تعذيبه – أمم ومريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية ويوحنا الحبيب ، وقد سالت من عيونهم جميعاً ينابيع من الدموع ، كما سالت من جسده الطاهر مجارى من الدماء .

فمن يستطيع أن يصف هذا المشهد . كأنى بيسوع يقول لأمه "لماذا جئت أيتها الحمامة المحبوبة إلى هنا فأن أوجاعك تزيدنى ألماً وتسبب لقلبى ضيقاً . فأرجعى إلى السفينة واستمرى فيها إلى أن ينقص ماء الطوفان، لأنه ليس لك فى هذا المحل راحة" و كأنى بمريم البتول تقول لوحيدها : كيف تطلب منى يا ولدى أن أحول نظرى عن الصليب أو أن أبرح هذا المكان . إن آلامك مزقت قلبى حتى لا يسعنى إلا الأفتكار فيها ، وأن روحى قد صلبت معك وتموت معك وتدفن معك .

ابتعدى أيتها الأم الحزينة عن الصليب لئلا تسحقك الأحزان . ولكن هل هى تقبل أن تنفصل عن الصليب ؟ إن حواء كانت تنظر إلى شجرة الفردوس بكل اشتياق حتى جلبت لنا الشقاء ، ولكن مريم لم تحول نظرها عن شجرة الحياة التى أينعت لنا خلاصاً وسعادة.

فتألمى إذا يا نفسى بمقدار صبر هذى الأم العظيم التى كانت نفسه تتوجع على آلام ابنها لتعلمنا أن احتمال الشدائد والآلام لأجل يسوع يصير أفضل من الهروب . فالأغبياء فى العالم هم الذين يهربون من الأتعاب ويفرون من العناء . فخذى لك مثالا يا نفسى معلمك العظيم يسوع المسيح الذى عاش حياته يذوق كل صنوف الشقاء البشرى فعليك أن تتبعيه وتسلكى فى طريقه وتتخذى أمه مثالاً لك فى الصبر على العزاء فإنها كانت واقفة أمام صليب أبنه أتتألم ألماً شديداً إلا أنها كانت صابرة على بلواها خاضعة لأحكام الله ، ومع علمها ببراءته ألا أنها لم تتذمر أو تقدم أى شكوة ولم تندب ولدها كباقى النساء إذا أصيب أحد أولادهن بمكروه بل وقفت إزاء الصليب بجرأة وثبات، وبذلك فضلت مجد الله وخلاص البشر على نجاة أبنها، إقتداء بيسوع الذى فضل كلا الأمرين على سلامة جسده، ولم تتعز العذراء إلا بفكر واحد، هو أيمانها بقيامة أبنها الحبيب بعد ثلاثة أيام من موته .

ليت الوالدين يقتدون بها فيحبون الله أكثر من أولادهم حتى إذا نقل الرب أبناً لهم لا يحزنون كالجهلاء ، بل يؤمنون أن الموت تعقبه حياة ، وأن الجسد لابد من انبعاثه .

وصية الابن لأمه :

حقاً إن حضور العذراء ووقوفها إزاء الصليب كان مراً على يسوع مرارة فائقة . فيا أيها المخلص الصالح لم يبقى فيك شئ إذا عديم الوجع والتألم . فأبوك حجب وجهه عنك وأمك ضاعفت آلامك بوجودها أمامك .

رأى السيد أمه متوجعة ويوحنا بجانبها فقال لها: "يا امرأة هوذا ابنك" ثم قال للتلميذ "هوذا أمك" لم يقل لها يا أمى بل "يا امرأة لأنه إذ ناداها يا أمى زادت آلمها إذ يذكرها بأن المتألم هو أبنها ، فإشفاقا عليها قال لها يا امرأه فكأن المخلص بهذه الكلمة يقول "أنا ذاهب من هذا العالم إلى أبى السماوى وليس لك زوج ولا أولاد ، فلكى اشملك بعنايتى أوصيت بك يوحنا حتى يكون لك ابناً عوضاً عنى".

توجد صورة فى متحف انتورب من رسم المستر فانديك تدعى "المسيح المائت" و فوقها تجد المخلص موضوعاً عند أسفل الصليب وذراعا أمه تسندان رأسه كما تجد يوحنا مشيرا إلى جسم يسوع العديم الحركة وشاخصا إلى ملاكين واقفين بجانب المسيح وترى علامات الاندهاش بادية على وجه يوحنا وكان الملاكان يستران وجههما بأيديهما وترى على وجه مريم حل المسألة واضحاً فهى ترفع وجهها إلى الله مبتهجة لأن أبنها أكمل العمل الذى أعطاه الله ليقوم به.

أنه درس جميل أن نعرف أن المخلص نظر وهو على صليبه كثيرين كانوا متجمهرين حوله منهم الأغنياء والعظماء والكهنة والقواد والأقوياء ولكن الرب حول نظره عنهم ولم ينظر إلا إلى جماعة صغيره من بضعة نساء فقيرات ليعلمنا أن المظاهر العالمية لا تهمه، وأنه لا ينظر إلى الناس لأنهم عظماء أو أغنياء بل لأنهم أتقياء . فكم من كثيرون يوقرهم العالم ويعظمهم و لكن الله يحتقرهم ، وكم من كثيرين يجهلهم البشر ولا يدرى بهم أحد ، ولكن لهم المركز الأول فى قلب الله .

قال أحد القديسين "ماذا خرجتم لتنظروا . أنبياً ؟ بل أعظم من نبى . أملكاً ؟ نعم وأعظم من ملك. كان عرشه صليب الامتهان ، وتاجه إكليل الشوك هلموا انظروا عظمة الإله يمتهن البشر

الصليب فيختاره ابن الله عرشا له . يطأ الناس الفقراء والمساكين بأقدمهم ، ولكن ابن الله يرحب بهم . ينبذ البشر المرأة الخاطئة كزهرة تستقبل الذبول والاضمحلال . أما ابن الله فقد قبل رجوعها إليه وغفر لها كل خطاياها " .

إنه امتياز عظيم ليوحنا الرسول أن يكون موضع ثقة سيده. وحقاً كان جدير بها لأنه أظهر شفقة على مخلصه أكثر من غيره . ولو أنه تبعه من بعيد إلا أنه لم يفارق صليبه ولم يتركه فاستحق إذا أن يكون ابناً للعذراء ، ومن ثم أخذه إلى خاصته . فما إثما ذلك البيت الذى حوى مريم ويوحنا إذا وجد منزل كان كالسماء تتحادث فيه الملائكة عن الأمور الروحية فهو ذلك المنزل الذى كانت تسكنه العذراء المباركة والتلميذ المحبوب . والتاريخ ينبئنا أن يوحنا الرسول لبث بأورشليم ولم يترك فلسطين حتى فارقت العذراء جسده الظاهر .

ونتعلم من كلمة المسيح هذه

١ـ عظم فائدة الجلوس عند الصليب . ونستحق ذلك إذا عشنا عيشة أهل الأيمان والتقوى ، لأن الذى يعيش ملطخاً بالذنوب غير مبال بالتوبة لا يكون أهلاً للقيام أمام صليب المسيح الذى هو سلم الخلاص. إن الوقوف أمام الصليب يدل على الشعور بشدة الحاجة إلى مساعدة المصلوب، فالذين ندموا على خطاياهم وصلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات يتخذون من وقوفهم أمام الصليب ـ حيث يرون ابن الله منتصراً على قوات الشر ـ قوة لمقاومة إبليس فهرب منهم (يع ٤: ٧).

وكذلك الذين عاشوا عيشة الأيمان فأنهم يحتاجون إلى الوقوف أمام الصليب بلا انقطاع لأن المسيح لم يترك الصليب حتى هم كل عدو . هكذا لا ينبغى أن يحول المؤمن نظره عن الصليب حتى يغمض الموت عينه ، وحينئذ يكون قد نال الغلبة على جميع أعدائه.

قال أحد المؤمنين "كما أن الملائكة كانت تصعد وتنزل على سلم يعقوب بدون توقف ، كذلك السالكون فى الفضيلة فإنه يلزمهم أن يتبعوا الصليب بدون توقف ولا تأخر"

٢ـ ليس شئ يحول نظر السيد عنا ، فبينما كان متوجعاً على الصليب أعتنى بالعذراء أمه . وفى هذا تعزية عظيمة لنا فإنه مع علو مجده ، وعظم مقامه يرثى إلينا ويشاركنا فى الامنا . فهو يدعو نفسه أخاً لنا وأبناً للآب . ولئن كان الآن جالساً فى عرشه عن يمين أبيه إلا أنه ينظر إلينا ويقوم بتعزيتنا كأفضل أخ وأوفى صديق .

٣ـ إن الله يسمح بالتجربة، ولكنه يعطى مع التجربة المنقذ. كان يوسف خطيب العذراء قد مات وأبنها يموت أيضا . لذلك سلمها إلى يوحنا الحبيب عوضاً عنه . إن الله لا يسمح أن يأخذ منا شئ حتى يقدم لنا عوضاً عنه .وهو لا يحتمل أن يجرحنا بيد حتى يضمد جراحتنا باليد الأخرى .

٤ـ إن المسيح يعطى درساً للأولاد فيما يجب عليهم من نحو واليهم. فقد قام السيد بواجباته نحو أمه فى أحرج حالاته. بينما نرى كثيرين إذا أصيبوا بتجربة يعتقدون أنها تخليهم مما يجب عليهم نحو والديهم أو أحبائهم أو أصدقائهم .

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة الرابعة

ترك عجيب

"الهى الهى لماذا تركتنى" (مت ٢٧: ٤٦)

يتعجب الكثيرون كيف يصرخ ابن الله و يقول هكذا "الهى" و لا يقول "أبى". نعم فكما انه لم يولد و يعتمد و يجوع و يعطش لأجل نفسه بل لأجلنا، هكذا صراخه إلى الآب "الهى . الهى" كان لأجلنا و نيابة عنا. لأنه اخذ جسد آدم و جاء ليفى دينه. فمن اجله و نيابة عنه و عن ذريته نادى و صرخ. لقد تشبه مثلنا فى كل شئ ما عدا الخطية ، فانه جاء و عطش و تعب و نام، و سأل عن كمية الخبز، وعن لعازر أين وضعوه، كمن يجهل الأشياء مع انه عارف بكل شئ قبل أن يكون.

لم يكن صراخه ناشئاً عن تذمر أو شكوى من ظلم، بل صراخ الذى يضع قلبه فى يد الآب الذى أطاعه. صراخ الضيقة الشديدة التى تحملها إطاعة لأبيه. فهو يعبر لأبيه عن مقدار ما تكبد من الآلام فى سبيل إتمام إرادته ليكشف للعالم عظم فضله. و لم يقصد المخلص بهذا الصراخ الاستعفاء من العمل، بل عزمه على مواصلته مهما كلفه الأمر.

لقد قال مخلصنا "الهى لماذا تركتنى" على سبيل التعجب و الاندهاش لا للفحص والتفسير، و كما أن سؤاله عن شفاء نازفة الدم كان ليشهر إيمانها هكذا سأل هنا "لماذا تركتنى" لا لعدم معرفة السبب بل ليبحث السامعون عن السبب و يعرفوا انه كان نائباً عن آدم و ذريته؛ فالبشر إذا تركهم الله لا يستطيعون أن يقولوا "لماذا" لأنهم مذنبون أما المسيح فقد قال "لماذا" لنعرف انه ترك، لا لذنب ارتكبه، بل لأجل ذنوبنا نحن. و إذا عرفنا موقفه كنائب عنا سهل علينا معرفة كيف دعا الآب إلهه، و بلا شك كانت البشرية التى لم تستطع أن ترفع وجهها زمناً نحو الآب جديرة بالهتاف قائلة "الهى ... الهى"لأنها قد تصالحت بدم هذا البار المصلوب. أما قوله "لماذا تركتنى" فلا يستفاد منه أن الآب تركه، و لكنه قال هذا بياناً لشدة تجربته و أن الآب لم يجعل الآلام صورية و لم يتدخل فى ذلك كأنه متروك منه.

قال أحد المفسرين أن صراخ المسيح بعد حدوث الظلمة و الزلزلة كان ليعلم انه كان حياً مدة ثلاث ساعات الظلمة و أنه فاعل الآية. و العلة التى من اجلها استغاث هى ليس لأن ألوهيته فارقته لكن ليرى عظم ما فعلوه به، و ليظهر بذلك تأنسه، لأن الآيات التى جرت كادت تغلب الظن فى معناه انه متأنس، و لكن يعلمنا أن نلتجئ إلى الله الحى وقت الشدائد "الهى الهى لماذا تركتنى" أه أيها البشر. هل كان صراخ مثل هذا؟ و هل كان بلاء نظير ذلك البلاء، أن الله ترك ابنه و صرف معونته عنه.

فالذى جعل يسوع يصرخ "الهى الهى" ليست الآلام التى تألم بها عن البشر، فالأيادى الأثيمة التى اختارته و سمرته بالصليب لم تقدر أن تصد عنه لمعان وجه أبيه . و لكنه يصرخ لما احتجب عنه وجه الآب. غضب الإنسان يمكن أن يحتمل، و إما غضب الله فمن يستطيع احتماله. آه . من منا يستطيع أن يتصور آلام فادينا المبارك عندما رفع العدل سيفه ليأخذ حقه من البشرية فى شخص النائب . "غمر ينادى غمراً عند صوت ميازيبك . كل تياراتك و لججك طمت على" (مز ٤٢: ٧) أن كانت لجج الظلم البشرى قد هاجت عليه جداً فإنها لم تكن سوى الأمواج على وجه البحر لأنه كانت تحت ذلك أعماق آلام لا تقاس قد تعينت لفادينا ينبغى أن ينحدر إليها لكى

يبلغ إلى حيث كنا مضطجعين فى خطايانا الثقيلة علينا و يصعدنا من هناك و يضعنا أمام الله بالرضا الكامل غير المتناهى.

تأملى يا نفسى فإن ذلك الصراخ الشديد قد أعلن الكفارة و سقوط النار على المذبح لكى تحرق الحمل الذى وضعت عليه خطايانا فلم يشفق على ابنه و لكنه شفق على. حمل الابن عنك ما لم تكونى قادرة على حمله، عمل لنا كل شئ و لم يترك لنا شئ نعمله إلا الإيمان به و الخضوع لأوامره و الثقة بكفاءة دمه لخلاصنا. حقاً ما اعجب ذلك. و ما اعظم تضحية ابن الله بقبوله النيابة عنا ووقوفه موقفنا أمام العدل الإلهى حتى اصبح العالم بكل شئ كمنسى من أبيه، و الذى يعطى الراحة لثقيلى الأحمال يشكو من شدة الحزن. الذى يمسح دموع الحزانى يطلب التعزية. نعم لم يصرخ المخلص فى آلامه صراخاً موجعاً كهذا الصراخ.

عندما حجب الآب وجهه عنك و أنت علي صليبك كان ذلك تعزية لى لأنك نبت فيها عني . إن توسلك لأبيك هو نفس توسلي الذي تقدمه كنائب عن جبلتي. ألمك و ضعفك علي الصليب هما لي نقاهة و معافاة أنا المريض. القصاص الذي حل بك كفر عن ذنوبي. نعم لقد غرقت في بحر الأحزان لتنشلني من غرق الخطية و هبطت إلي أعماق الكآبة لتوجد لي سروراً أبديا.

لماذا صرخت يا مخلصي؟ أنت منقذ لنا من الظلمة الأبدية و لكنا نراك ماشياً في الظلام بدون نور. حدثت الظلمة فزادت آلامك و أوجاعك. إن الظلام بدون الآم متعب، و ليل المريض أشد صعوبة علية من النهار، هكذا بلغت آلامك شدتها حينما ساد الظلام علي الأرض، و حينما حجب أبوك وجهه عنك في وسط ذلك الظلام. لقد احتملت كل ذلك لتنقلنا نحن الخطاة من الظلمة إلي نورك العجيب (١ بط ٢: ٩).

تأملوا أيها المسيحيون كيف أن المسيح ترك تحت الألم مدة بدون تعزية! لم يترك بين أصحابه بل بين أعدائه. تركه الآب و لم يهتم بخلاصه أو بمواساته. لما انزعجت نفسه سابقاً أتاه صوت يشجعه (يو ١٢: ٢٧-٢٨) و لما اكتئب في البستان ظهر له ملاك ليقويه، أما الآن فقد حجب الآب وجهه عنه و هو يجوز وادي ظلال الموت. و مع أنه سبحانه يشرق شمسه علي الأخيار و الأشرار و يمطر علي الأبرار و الظالمين إلا أنه لما صار ابنه ذبيحة خطية حجبت الشمس نورها عنه من فوق. و كذلك الأرض من تحت فإنها بخلت عليه حتى بنقطة ماء.

أن يسوع باحتماله الصليب يعطينا درساً جميلاً في الصبر علي البلايا فنحن يا رب لم نعرف مقدار ما تكبدته علي الصليب، بل أنت وحدك الذي تعرفه. فاعطنا أن نتخذك مثالاً لنا حتى لا نيأس إذا سدت في وجوهنا أبواب الفرج، و حتى يكون لنا العزاء عند مداهمة المصائب.

هذه الصرخة المرة رفعها ابن الله علي الصليب قائلاً "الهي الهي لماذا تركتني" قصد بها إرشادنا إلى أمور كثيرة:-

١- إنه بهذا الصراخ قد رد الابن للبشرية كل ما فقدته. قال المخلص "يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى و باع كل ما كان له و اشتراها" (مت ١٣: ٤٥، ٤٦) فرضى الآب على ابنه كان افضل شئ يفتخر به بقوله "و الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى" (يو ٥: ٣٧) فالمسيح احتمل كل ما مر به من الألم ليرد لنا ما فقدناه، و بذلك اشترى راحتنا بتعبه، و سرورنا بحزنه. فالحمد لمخلصنا الذى رد إلينا ما فقدناه بجهاده إذ لم يكن فى وسع أحد أن يعيده إلينا إلا ابن الله. لأن الله كان ساخطاً على البشر و لم تكن

وسيلة لإرضائه إلا أن يموت ابنه. و لا يخفى انه لو لم يسمح الله بذلك فى تلك الساعة لتعذر على إبليس أن يدفع أولئك القوم ناكرى الجميل إلى تعذيبه و إيلامه.

٢- نتعلم أن ترك الآب للمسيح كان من اشد أنواع العذاب التى قاساها المخلص. لم يقل له "لماذا سمحت للعساكر أن يجلدونى و لماذا رضيت أن يسمرونى على الصليب، و أن يعايرنى الناس" و لكنه قال "لماذا تركتنى أنت؟" لان هذا أمر و اصعب ما كان فى كأس الامه.

أبى الحنون. أنا اعلم لماذا تركنى يهوذا الخائن و باعنى حباً للمال.

و اعرف أيضا لماذا أنكرنى بطرس و جحدنى ، و قد علمت أيضا لماذا تركنى تلاميذى و هربوا. لكن كيف تتركنى أنت يا أبى الحنون و حبيبى ! لما علمت أن تلاميذى تركونى قلت لهم "و أنا لست وحدى لان الآب معى" (يو ١٦: ٣٢) فلماذا تحول وجهك عن ابنك!

لقد شهدت عنى قائلا "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" فكيف تتركنى إذا. إنى لا أستطيع أن احتمل تركك لى. أن نور وجهك ينير ظلمة أحزانى و يزيل مرارة أوجاعى. تطلع من سماءك و انظر ما يقاسيه ابنك الحبيب .. اسمع صراخ و تنهدات قلبى المكسور.

فشكراً لك يا يسوع على هذه التضحية العظمى. نعم حجب أبوك وجهه عنك وقتاً قصيراً لكى لا يحجبه عنا إلى الأبد، كما كان يقتضى عدله لو لم تمت أنت عنا.

كان احتجاب وجه الآب عن ابنه جزءاً من دين عدله على الخاطئ الذى دفعه نائبنا. و هو أدى ثمن فدائنا لأنه ذاق الموت نيابة عن كل إنسان (عب ٢: ٩) فلك الشكر إلى الأبد بلا انقطاع يا ابن الله الأزلى لأنه لم يكن من يسدد ديوننا سواك.

ها قد علمنا لماذا ترك الآب ابنه. لأنه ناب عن الخطاة. فإذا كان نائب الخطاة قد ترك من أبيه الحبيب هكذا، فكيف يكون غضب الله على الخطاة أنفسهم فالخطية تظهر الآب قاسياً هكذا على ابنه البرىء لأنه وضع نفسه موضع الخطاة، فكم تكون قساوته على من احبوا الخطية و عاشوا فيها؟ أن الله لا يطيق النظر إلى الخطية و لو أن المسيح كان شارعاً فى سحقها، فهل يشعر أحد بعد ذلك بميل نحو الخطية؟

و إذا كان مؤلماً للغاية على الابن أن يحجب أبوه عنه وجهه لحظة، فكم تكون شدة عذاب الهالكين باحتجاب وجه الله عنهم إلى الأبد، و مع أن يسوع رأى أن الآب قد تركه إلا انه لم يزل واثقاً به بدليل قوله "الهى" لا "الله"؛ و الحق أن الله لم يترك يسوع، لأنه فى ذلك الوقت عينه، كان يسوع يقوم بالعمل الذى سر الله أن يضعه عليه، إلا انه صرف عنه وجهه باعتبار انه كان كفيل الخطاة و نائباً عنهم.

فهلا تخافوا الخطية بعد ذلك يا من تحبونها؟ هل عرفتم كم يكرهها الله و يمقتها حتى جعلته يصرف وجهه عن ابنه البرىء؟ و هل تطيقون أن يصرف وجهه عنكم إلى الأبد مع انه لم يطق تركه له لحظه واحدة ؟ أن موسى قال للرب "أن لم يسر وجهك لا تصعدنا من ههنا" (خر ٣٣: ١٥) فكيف تستطيعون انتم أن تسيروا فى الحياة، ووجه الله غير سائر أمامكم لأنكم تحملون الخطية؟

٣- يعلمنا مخلصنا بهذه الصرخة فضيلة التواضع. قال بعضهم فضيلة المسيح انه ليس فى كتب الفلاسفة ذكر لها، و هى تتلألأ فى جميع الأعمال التى مارسها فى حياته و لو لم يكن متواضعاً لما قيل عنه "الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلا نفسه آخذا

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

صورة عبد صائراً فى شبه الناس؛ و إذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه و أطاع حتى الموت موت الصليب" (فى ٢: ٦-٨) قال عنه يوحنا الرسول "و رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب" (يو ١: ١٤) و لكنه نزل من مقام مجده عند تسليمه نفسه للصليب، فقد كان قادراً و لكنه اخفى قدرته حتى ضربه أحقر عبد. كان حكيماً و لكن حكمته حجبت عند الصليب فلم يجاوب أحدا بكلمة. كان عظيماً فى ملكوته و لكن هذه العظمة توارت عندما وصل إلى عمق ذلك العذاب.

إلا انه يكشف لنا من وراء حجاب التواضع عن تعليم آخر و هو "أما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١ بط ٥: ٥) فقد قال عنه الرسول بولس "لذلك رفعه الله أيضا و أعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء و من على الأرض و من تحت الأرض و يعترف كل إنسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى ٢: ٩-١١).

فعلى من يروم الحصول على العظمة الحقيقية أن يقتضى بمخلصه الصالح فيسلك سبيل التواضع ليتم عليه القول "و ليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه" (يع ١: ٩).

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة الخامسة

احتياج عجيب

"أنا عطشان" (يو١٩ :٢٨)

لقد كان من نتائج طريقة الصليب القاسية أن يصاب المصلوب بعطش لا يروى ، لاسيما من تعرضه لحرارة الشمس المحرقة ، فلما أحس المخلص بالعطش الشديد صرخ قائلاً "أنا عطشان".

يا له من احتياج عجيب "أنا عطشان " يا له من أمر غريب يتوه العقل البشرى فى وصفه. ذلك الذى الرياح والبحر يطيعانه. الذى "يصر المياه فى سحبه" (أى ٢٦ :٨) "من كال بكفه المياه" (أش ٤٠ :١٢) "والمرسل المياه على البرارى" (أى٥ :١٠) يصيح هكذا "أنا عطشان". هل الغنى يحتاج ، وهل يسأل السخى إحسانا ؟ هل يطلب رب الجود شيئاً يسيراً كهذا ، يحصل عليه أفقر الناس بلا تعب ؟ يا للحزن العميق ! هل الابن المحبوب يعطش ! الذى حول الماء خمراً فى عرس قانا الجليل يحتاج إلى ماء ! الذى أخرج الماء من الصخرة فى البرية يقول "أنا عطشان" ! أيتها النساء الواقفات عند الصليب . إذا كان نداؤه هذا لم يؤثر فى قلوب الصالبين القساة أفلم يؤثر فيكن ؟ أعطينه ماء وقدمى له يا مريم المجدلية كأساً يرويه . أين أمه الحزينة ؟ ألم يتفتت قلبها حسرة من هذا الصراخ الموجع، آه يا حسرتنا. أن المعذبين منعوا عنه الماء و ها هم يقدمون له خلاً ذا طعم مؤلم جداً . نعم قدموا له خلاً ولكن ليس شفقة عليه، أو رغبة فى إرواء غليله ، بل لعلمهم أن الخل مضر بالجراح كل الضرر.

لقد شعر المخلص بعطش منذ بداءة صلبه. وذلك من الدماء التى سالت من جسده بغزارة فنفد منه الماء، ومع ذلك استمر ثلاث ساعات صابرا على العطش و لم يعلنه إلا قبل موته بقليل ، ليرى العالم كل أنواع آلامه . إن الجنود الجرحى فى ساحة القتال يطلبون الماء قبل كل شئ ، ولكن المخلص لم يطلب الماء إلا أخر شئ .

على أن عطش المسيح حينئذ كان يقصد به شئ أخر . لقد فاتح المرأة السامرية بالكلام قائلاً "أعطينى لأشرب" (يو٤ :٧) لم يكن حينئذ محتاجاً لماء يروى به عطشه، بل أراد أن يأتى بها إلى الماء الحى بدليل قوله "لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً "ولعمرى كيف يعطش من قال "إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب" (يو٧ :٣٧) وهو القائل عن إسرائيل "تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء"(ار ٢ :١٣).

قدموا الخل للمخلص فى وقت عطشه فلم يتألم من مرارته بقدر ما تألم من قساوة قلوب مقدميه ، فهو لم يتألم من الخل بل تألم من الإصرار على الخطية . فكان الخل رمزاً إلى الخطية التى هى أمر من الصبر والعلقم . قال أيوب عن الخاطئ "مرارة اصلال فى بطنه" (أى٢٠ :١٤) وقال بطرس الرسول لسيمون الساحر "أراك فى مرارة المر" (أع٨ :٢٣). وقال الرسول بولس عن الآثمة " فمهم مملوء لعنة ومرارة" (رو٣ :١٤) فالمخلص إذاً قد تألم من مرارة خطياهم ومن إصرارهم على عنادهم و تصلفهم ، أكثر مما تألم من مرارة الخل الذى قدموه له.

فيا للأسف. فى الوقت الذى يخلص الله البشر يعملون هم على إيلامه. انه يسعى إلى نجاتهم، وهم يسعون إلى تعذيبه. كم من كثيرين فى كل جيل فى الوقت الذى يتنعمون فيه بنعمة الحياة التى أعطاها الله لهم و يتمتعون بخيراته يرفعون إليه علقم آثامهم و مرارة شرورهم . فيا للقساوة العظيمة ، بهذا المقدار يظهر الله غيرة على خلاصنا. وبهذا الإهمال العظيم نظهر نحن إهمالا فى الاهتمام بأمر نفوسنا. ابن الله يصلب و يتعذب و يعطش و يتألم لأنه يشتهى أن يخلصنا من الخطية التى تؤدى بنا إلى الهلاك الأبدى ، ونحن نزدرى بصلبه ونستخف بعذابه و نحتقر عطشه و لا نبالى بآلامه . وفى الوقت نفسه نحن نستهين بأنفسنا لأن نتيجة هذا العصيان ضرر لنا بل هلاك لنا نحن الخطاة . فان لم تكن نفسك ذات قيمة عندك فأعتبرها قدر قيمة لأن المسيح عطش ومات لأجلها.

كم من كثيرين يتألمون إذا سمعوا قول المسيح" أنا عطشان" ويشتهون لو كانوا واقفين حينئذ ليقدموا له أفضل شراب فى أثمن إناء ، ولكنهم فى الوقت نفسه يعملون على زيادة عطشه لأنه وهو على الصليب كان عطشانا إلى الماء .وفى عرش مجده الآن يعطش لخلاص الخطاة . فالذين يرتكبون الخطية يقدمون له شراباً أمر بكثير من تلك المرارة وذلك الخل اللذين قدمهما الأعداء على الصليب . وكما كان يشكو من أولئك قائلاً "وفى عطشى يسقوننى خلاً" (مز٦٩:٢١) كأنه يقول إنى ما كنت أتوقع ممن أحسنت إليهم بكل أنواع الإحسان أن يبخلوا علىّ فى وقت عطشى الشديد بقليل من الماء، بل قدموا لى خلاً يزيد عذابى و يضاعف آلامى كذلك يقول عنا اليوم ما قال الكرام عن كرمه "انتظرت أن يصنع عنباً فصنع عنبا رديئا" (أش٥:٤) أى أن الذين تعبت فى خلاصهم واحتملت مرارة العطش لأجلهم طلبت منهم أن يروونى بتركهم خطاياهم وبسلوكهم بالإيمان العامل بالمحبة أمامى فقدموا لى ثمرا مرا . شرا وفسادا ومحبة للعالم ،فزادوا آلامى وذكرونى بعطشى وأنا على الصليب . قال القديس أوغسطينوس "إن عطش المسيح على الصليب لا يدل على عطش جسده فقط بل على عطش نفسه الملتهبة غيرة على خلاص البشر" إن عطش المسيح الروحى من أجل خلاص الخطاة الذين كان يعلم بسابق المعرفة هلاكهم ،كان أصعب عليه من عطشه الجسدى .

أيها المسيحى يا من مات المسيح لأجلك ، تأكد أنك لو عطشت بالإيمان باسمه ولكنك كنت فى خدمتك له أقل نشاطا لأعتبر نفسه عطشانا إلى عظم غيرتك لأنه يتوقع ممن عطش لأجلهم أن يدفعهم ذلك إلى زيادة الجد فى خدمته كما قال الرسول "حارين فى الروح "(رو ١٢:١١) فكم بالحرى إذا كنت باردا فى عبادتك ،بل إذا كنت تقدم عوض الخير شرا .انه حينئذ يحس بالعطش الشديد ويقول لك "من أجلك أنا عطشان إلى الأبد" إن كل نفس هالكة لا يزال المسيح يهتم بها و يعطش لأجلها .

فإذا كنت تحب أن تعزى مخلصك وتبرد ظمأه وتقلل آلامه ،فقدم له ذاتك تائبا عن آثامك بندامة حقيقية حارة .إن نفس السيد المسيح تتعطش لا إلى الماء بل إلى توبتك .إن رجوعك إليه يروى عطشه .قال المخلص "المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه ولد إنسان فى العالم "(يو ١٦:٢١)فالسيد المسيح كان يتوجع بخطايانا على الصليب ،ومن حرارة عقابها عطش ،إلا أن رجوع خاطئ واحد إليه يبرد غليله ويطفئ عطشه.

إن الصالبين لم يقدموا ماء للمخلص ليطفئ عطشه حتى مات فى حرارة هذا العطش ،فهل نود أن نعيش فى خطايانا حتى نموت ،تاركين المخلص فى عطشه من عدم توبتنا .نخاف أن يكون فينا من يقول لهم يسوع "أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم "(يو ٨:٢١).

اعتبر أيها المسيحى وبكت نفسك إذا كنت تعيش بعيدا عن مخلصك .تذكر أنه قد جاد عليك بكل شئ ولم يمنع عنك خيرا من خيراته ولا حسنة من حسناته،وهو يقول عن كرمه الذى هو نحن "ماذا يصنع أيضا لكرمى وأنا لم أصنعه له" (أش ٥:٤) هل كنا نطلب منه أن يعطينا أكثر من حياته التى جاد بها عن طيب خاطر حبا فى خلاصنا ونحن ماذا قدمنا له !هو قدم لنا خيره ونحن قدمنا له شرنا ،قدم لنا حسناته ونحن قدمنا له سيئاتنا. سفك دمه لأجلنا ونحن نبخل عليه باليسير من الوقت لنشكره على فضله ،احتمل شدة العطش على الصليب لأجلنا ونحن نمتنع عن أن نقدم له قليلا من الماء لتبريد عطشه .مات لأجلنا ونحن نحيا للعالم وللخطية.فهل يستحق منا هذا الإله الحبيب مثل هذه المعاملة القاسية ؟وهل هذا ما ينتظر أن نكافئه به؟ فلنسمعه ينادينا "أيها البشر الذين عطشت ومت لأجلهم . لم يكن عطشى عطش الشفتين المحترقين بل عطش القلب المكسور. لم اعطش إلى الماء ولكنى إلى قلوبكم عطشت .أيها الإنسان الخاطئ "أعطنى قلبك " (أم ٢٣:٢٦)

أنا عطشان تروينى سياسة الشيوخ الحكيمة لكنيستى ،ونشاط الشبان وعمل مسرتى ، وعطف النساء فى تربية أبنائى ، وعيشة الشابات فى القداسة التى هى مبدأى ومساعدة الأقوياء للمساكين اخوتى ، وسهر الرعاة على غنمى ورعيتى . أنا اعطش إلى كل الفضائل فمن يصنعها يروينى ويشبعنى .

لنتأمل الآن هذا الصوت المملوء الحنان ،ولنفكر جيدا ماذا نحن فاعلون أنسمع ونطيع ،أم نلبث عاصين كما لبث صالبوه .نلاحظ أنه يتكلم معنا كمن يحتاج إلينا كأنه هو عطشان حقا يفتقر إلى إيماننا وفضيلتنا ليفرح بهما كربه انه يحب الإيمان لأنه يخلصنا ،ويحب الفضيلة لأنها برهان إيماننا. انه يحبنا مؤمنين حقيقيين لأنه بدون الإيمان لا نستطيع أن نخلص .فهو يعطش لأجلنا ويتألم ويحتاج لأجلنا. أيبكى الغنى ويضحك المحتاج ؟ أيحزن البار ويسر الخاطئ يا للأسف . أيكتئب علينا السيد ونحن لا نكتئب على أنفسنا ؟نعم لأنه يعرف شناعة الخطية وعظم عقابها . ونحن لا ندرى شناعتها ولا نتوقع عقابا.

ولكن اسمعوا وافهموا . هو الآن يظهر بمظهر المحتاج إلينا .ولكن ستأتى ساعة فيها يكف يده عن السؤال لتنبسط أيدينا عوضه لنستعطى منه ونسأل فهل يتوقع الذى قبض يده عنه هنا أن يجد منه رحمة هناك ؟ حاشا. اسمعه يقول "مددت يدى وليس من يبالى .فأنا أيضا اضحك عند بليتكم واشمت عند مجيء خوفكم" (أم١ :٢٤-٢٦) فالذى لم يقدم له قطرة ماء يروى بها عطشه المؤقت الذى احتمله لأجل خلاصه ،هل ينتظر ،هل ينتظر أن يجد منه هناك تبريدا لعطشه الأبدى ،لقد طلب الغنى من إبراهيم قائلاً "ارحمنى أرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب" (لو١٦:٢٤) ولكن إبراهيم أجابه فى الحال "إن بيننا وبينكم هوة عظيمة".

فابتعد أيها الإنسان عن القساوة ولين قلبك لمن ذاب قلبه كالشمع على الصليب لأجلك حتى تجرى من بطنك أنهار ماء حى (يو ٧:٣٨) و هناك تسمع صوته "أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا" (رؤ٢١:٦).

لتكن أذناك صاغيتين إلى هذه الدعوة "الروح والعروس يقولان تعال ومن يسمع فليقل تعال . و من يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجانا" (رؤ٢٢:١٧).

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة السادسة

نصره عجيبة

"قد أكمل" (يو ١٩:٣٠)

إن السيد المسيح قد جاء ليقوم بخدمتين: الأولى نشر الإنجيل، والثانية عمل الفداء. فلما أتم الأولى خاطب أباه قائلاً "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته" (يو ١٧:٤) ولما أتم الثانية قال "قد أكمل".

قال القديس أوغسطينوس: إن هذه الكلمة جاءت مصداقاً لأقوال الأنبياء ومتممة لرموزهم، فكأن ما أراد المسيح أن يقول هو"قد تم كل ما كان عليّ إتمامه مما كتبه عنى الأنبياء"...وقال القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن السلطة التي كانت للشياطين والبشر قد انتهت بموت المسيح ولذلك قال" قد أكمل"... وقال آخر: وفي "هذا الوقت انتهت أيضا مهمة المسيح في هذا العالم وهي التي كانت تسبب له الجوع والعطش والنوم والتعب والجلد والاحتقار وقد صرح له المجد بذلك بقوله "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو ١٦:٢٨). فكأنه أراد أن يقول: "قد انتهت رحلتي المتعبة، وانتهى جهادي، ووضعت حداً لسلطة جميع أعدائى وتمت ضحية الضحايا العظيمة التى كانت جميع ضحايا الأقدمين كالخيال بالنسبة إليها، لأن هذه الضحية هي حمل الله و كاهنها الإله المتأنس ومذبحها الصليب، ونارها المحبة المتقدة وأثمارها خلاص العالم".

قال المخلص له المجد قبيل موته: "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع" (يو ١٢:٣١، ٣٢) لقد قامت الحرب الروحية بين المخلص والشيطان على الصليب وقصد بها المخلص أن يعيد للإنسان سعادته التي سلبها منه الشيطان، فلما وفى ابن الله ديوننا لأبيه انتقلنا من يد الشيطان إليه.

جاء في سفر اللاويين (ص١٤): أن الأبرص كان يلبث بعيداً عن الشعب حتى يأتيه الكاهن وبيده عصفوران حيان طاهران وعود أرز ويذبح العصفور الواحد ويرش من دمه على الأبرص سبع مرات فيطهر ويطلق العصفور الحي، فالأبرص هو الإنسان الساقط المطرود من الفردوس، والكاهن هو السيد المسيح، والعصفوران يشيران إلى التكفير بالدم وإطلاق الحرية.

وجاء في سفر العدد (ص٣٥): أن القاتل الذي كان يهرب إلى مدن الملجأ وينجو لم يكن مصرحاً له بالرجوع إلى وطنه إلا بعد موت رئيس الكهنة وهذا رمز إلى أن الإنسان الخاطئ قد أعيدت له السعادة بعد موت يسوع المسيح عظيم الأحبار. ففي قوله "قد اكمل" نسمع نغمة النصرة، وهذه النغمة يجب أن تكون في أفكارنا كل حين إذ نرى أن إتمام عمله جعل خلاصنا ممكنا.

نعم لم يكن خلاصنا ممكنا لو لم يتم المسيح عمله. وإذ أردنا أن ندرك جيدا فعلينا أن نتأمل في ما دهورتنا إليه الخطية. قد استعبدت جنسنا وأعدمتنا جميعاً حرية الحياة الروحية واجتذبتنا إلى غار السجن المظلم وجعلت إبليس سجانا أبدياً صارماً. وصار كل مولود منذ اليوم الذي ارتكب فيه آدم الشر الذي نهى عنه يولد أسيراً له لأنه ولد في الخطية. و لم يكن هناك رجاء يلمع ولا يمكن العبرات أن تجلب الرحمة وتحول ضيقة إبليس إلى محبة، وليس بنا من قوة نقدر بها أن نذل هذا

العدو القاهر. والملائكة لا يمكنها أن تسعفنا. فلننظر الآن إلى يسوع فأن فيه وحده كل الآمال والخلاص.

عينه الرحيمة تطلعت ألى العالم المأسور فنظر بين أسوار الخطية عرسه وأحباؤه منذ الأزل ونصيبه الخالد الذي أعطاه إياه الآب السماوي. رآهم مشوهين بنجاسة الخطية ومطروحين على حافة الهلاك الأبدي. هل يحبهم ويتركهم في الهلاك؟ أيكتفي بالتوسل ليطلقوا والعدل الإلهي يصرخ قائلاً: "وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ٩:٢٢) أتى طائراً في أجنحة النعمة الفادية، مسرعاً بقوة القدرة المنفذة، متقلداً سلاح الشجاعة المفتدية، لابساً على رأسه خوذة الفداء وحاملاً في يديه ثمن الخلاص. طار إلى عرش صليبه واحتمل قصاص العدل الإلهي حتى "أكمل" كل شيء.

قد أكمل " قد وفى الدين ووضع ابن الله في الميزان مع الخطية فرجح عليها، وحينئذ قال العدل الإلهي: اعتقوا تلك الأنفس فإنهم أوفوا حتى الفلس الأخير، ويهوذا أصدر أمره نحو كل واحد قائلاً "أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة قد وجدت فدية" (أي ٣٣:٢٤).

حينئذ ضعفت قوة إبليس، لأن دم المسيح قد وفى كل المطاليب، وموته اهلك الأعداء، والصليب اخمد كل صوت شاكٍ، والأبواب لا تقفل بعد، والقيود فكت، والمسجونون أطلقوا، والمعذبون افتدوا "ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبديا" (عب ٩:١٢)

نعم ظهر العدل والرحمة معاً على الجلجثة، قال العدل: "أين ابن الله الذي وعد بأن يفي المكتوب في هذا الدرج" فقالت الرحمة: "هوذا آت".. ثم ظهرت ذبيحة جديدة على جبل الجلجثة لتتقد على قرون المذبح محرقة عن الخطايا... ثم نزلت نار من السماء وأخذت تحرق قائلة: "إني حرقت ألوفاً وربوات من الثيران والكباش ولكن لم أنطفيء وإذ لم أطفأ فسأحرق الجحيم فالويل لسكان المقبرة".

أخذت النار تحرق من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة. ثم قالت "إني شبعت" لقد غلبت، لقد انتصرت الذبيحة على النار.

قال أحد المؤمنين: "لقد سادت الخطية على الأرض فطافت المياه عليها فلم تقدر أن تغسل مرض الخطية.. وسقطت النار من السماء ولم تقدر أن تحرق الإثم، وفتحت الأرض فاها ولم تقدر أن تبتلع الشرور، جاءت الشريعة بوعودها وتهديداتها من قتام الظلام على طور سيناء، ولم تقدر أن تروع بمخاوفها أبناء المعصية. ولم تزل الخطية تنمو حتى تجاسرت وخرجت خيامها على جبل الجلجثة وسمرت معطى الشريعة على خشبة، ولكنها خرجت في تلك المعركة جرحا مميتاً فصارت الذبيحة هي الذابحة والمغلوبة هي الغالبة".

يقال عن حجر الماس بأنه قاسٍ جدا لا تلينه المطارق الحديدية، ولكنه يتفتت إذا وقعت عليه نقطة صغيرة من دم حمل فاعتبر أيها الإنسان أن العداوة التي كانت بينك وبين الله لم يكن من يستطيع أن يرفعها سوى حمل الله ... "الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته" (أف ١:٧).

قد أكمل "... كلمة شاملة معزية. هذه الصرخة هي النصرة و معناها أن إرادة الله أطيعت وخلاص الناس صار مضمونا والنصرة الخالدة ربحت. والسماء فتحت للإنسان. وظلام القبر تغير إلى مجد القيامة و الصعود مع المسيح . قد جمعت الخطية كلها على المسيح و كابد عقابها .

ثم ماذا حدث؟ نزعت الآثام كل النزاع. فإذا كان العقاب قد تم فقد كف العدل عن طلب عقاب آخر. قد أوفى الدين وسددت المطالب، قدمت الدعوى وفاز المدعي بحقوقه فلا شكوى بعد، فإننا وإن كنا لا نستطيع وفاء حقوق الدعوى بأشخاصنا أديناها بشخص اتحد بنا و تواثق معنا حتى أصبحنا به كما كان لاوي في صلب إبراهيم (عب ٧:١٠).

و لقد تم كل شيء والابن الذي وضع تحت عقاب العدل الإلهي قد أطلق والصاعقة التي انقضت عليه قد تلاشت وانقشعت السحب المطبقة حتى لم يبق في الجو الصافي سحابة واحدة. فسيول المياه وإن كانت تفجرت فقد جففتها محبته لأن آلامه فتحت له مجاري حملت تلك المياه الطاغية وأزالتها إلى الأبد. وان كان المدعوون قد قدموا صكوك الديون فقد قبلها جميعها ومحا كل صك وحساب عن جميع النفوس التي مات عنها.

نعم سقط المسيح ولكن سقوطه سحق أعداءه "ومن سقط هو عليه يسحقه" (لو ٢٠:١٨) مات للخطية ولكنه صلب الخطية والموت على صليبه، غمرته سيول الآلام فترك الشر في أعماقها وخرج سالما. التحف بنيران الوجع ولكنه خلف الإثم فيها لتلتهمه، ولم تتمكن من أن تلدغه. ثقوا أيها الاخوة مهما كان من داخل مخاوف ومن خارج حروب، لأنكم مصالحون بدم يسوع "لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه بالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو ٥:١٠).

قال بعضهم: "بموته عبر بنا البحر الأحمر ليلا. فبحياته يعبر بنا نهر الأردن نهارا. بموته نجانا من ذلك الكور الحديدي في مصر. فبحياته ينجينا من جميع مخاطر البرية. بموته غلب فرعون رئيس الأعداء. فبحياته سيظفر بسيحون ملك الأموريين وبعوج ملك باشان. إننا سنخلص بحياته لأنه حي فنحن سنحيا أيضا. فثقوا بأنه قد تم العمل وكمل الفداء. وانفتح ملكوت السموات لجميع المؤمنين وقد أخذ الراقدون عربونه في الفردوس فارفعوا رؤوسكم يا أسرى الرجاء (زك ٩:١٢) فلا دين غير موفى، ولا شيطان غير مغلوب. ولا عدو داخل قلوبكم لم يجرح بجرح مميت "شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (١كو ١٥:٥٧).

فمنذ اليوم أيها البشر صار أمركم بيد مخلصكم المسيح، وقد انتهت سلطة الشيطان وعبودية الخطية. لقد قدمت الكفارة وتم التبرير وامتلك الخلاص والحياة الأبدية وختمت عقود الحرية والعتق. فابشروا أيها المسجونون وسروا أيها المأسورون.

ما كان اطرب صوت هتاف يوم اليوبيل على المتعبين في إسرائيل، وما كان أحسن رنينه في آذانهم، وما كان أشد تلهفهم لسماع أبواق الهتاف يضربها الكهنة انتظاراً لنوال الحرية. ولكن هاهو صوت يسمع فوق الصليب من فم رئيس الكهنة الأعظم: "قد اكمل" صوت ما أحلاه، صوت بهجة للخطاة.. "صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين". (مز ١١٨:١٥).

المسيح كفر عن الخطايا، ولكن إذا رأيت عبداً للخطية فذلك لأن تلك هي إرادته ومثله مع مخلصه مثل غني توجه إلى بلاد البرابرة واشترى المأسورين بمبلغ وافر من الدراهم ثم استحضر لهم مراكب وخيولاً ومؤونة ليخرجهم من الأسر، فرفض الكثيرون منهم الخروج بعد بذله الفدية عنهم. وهكذا المسيح فإنه جهز للآثمة سفن النجاة و أعد لهم مطايا الخلاص و لكنهم أبوا النجاة ورفضوا الخلاص "الذين قال لهم هذه هي الراحة. أريحوا الرازح وهذا هو السكون. ولكن لم يشاءوا أن يسمعوا" (أش ٢٨:١٢).

قد القى الإنسان بإرادته زمام نفسه بيد الشيطان فاستلمها الشيطان بطريقة شرعية وكان ينبغي أن تؤخذ منه بطريقة عادلة أيضاً فكفر الله بابنه عن العالم العاصي واستطاع أن يرد للنفس الإنسانية حريتها المفقودة. ولكن ما بالنا نرى الكثيرين مازالوا مستعبدين للخطية، مستسلمين للشيطان. إن الحرية التي خلق الله الإنسان حاصلاً عليها، وبها سلم نفسه للشيطان أولا هي التي سيتركهم بها وشأنهم ولا يعارضهم أن يسلموا أنفسهم للشيطان ثانياً. إن الذين رجعوا مع عزرا الكاهن من مسبيي إسرائيل ببابل كانوا قليلين جداً بالنسبة للذين بقوا وأبوا الرجوع. وهؤلاء يمثلون المصريين على خطاياهم، الراغبين في العالم الباطل دون الإيمان بفاديهم الحبيب، ولهؤلاء يقول الرسول بولس "فاثبتوا إذاً في الحرية التي حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غل ٥:١).

فيا نفسي تفرسي في ذلك الصليب وبينما أنت تنظرين اسمعى الصراخ العظيم القائل: "قد أكمل". قد تم العمل العظيم قد تمم يسوع كل شيء فمن الآن وصاعداً لا يطلب من الخاطئ إلا أن يؤمن بصانع هذا الفداء العظيم. المسيح تمم الكل ومن يعرف ذلك حصل على سلام مع الله. فإن لم يكن لك يا نفسي هذا السلام فذلك لأنك لم تؤمني بقوله "قد أكمل".

ثقي أنه قد وفى كل ديونك ومن ثم لا تستطيعين أن تمنعي انفجار السلام فيك. الدم هو وسيلة الصلح، وسلامك يا نفسي هو النتيجة الحادثة عن يقينك بفاعلية ذلك الدم المسفوك. وإذا تأملت أيها الحبيب بالصلح غير المحدود الذي يتضمنه الدم المسفوك فإنه يحق لك حينئذ أن تقولي "سلام لي".

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الكلمة السابعة

موت عجيب

" يا أبتاه في يديك أستودع روحي " (لو ٢٣: ٤٦)

هذه آخر كلمة فاه بها يسوع قبل موته . يذكر عن مشاهير العالم كثير من الكلمات التي نطقوا بها قبل خروج أرواحهم من أجسادهم إلا أنه لم يوجد بين تلك الكلمات كلمة تدل على الثقة والاطمئنان كهذه الكلمة .

لقد ابتدأ كلماته على الصليب بقوله "يا أبتاه" واختتمها أيضا بقوله "يا أبتاه" فهو يدعو الله أباه لأنه أطاعه حتى الموت . موت الصليب . ففي موت المسيح تجلت طاعته الكاملة لأبيه . . ما من شيء أعز على الإنسان مثل نفسه ، فابن الله بذلها عن طيب خاطر خضوعا لإرادة أبيه وقد بذلها لا عن أخصائه وأحبائه فقط بل عن الأعداء والآثمة وناكري الجميل أيضا حتى ينقذهم من نير جهنم ويجعلهم أخوة له شركاء في المُلك السماوي ، فسرور الابن كان عظيما لأنه سيترك أعز ودائعه بيد أبيه . فالمخلص بفرح يسلّم روحه بيد أبيه ، إنها وديعة لأن الابن يسترجعها في أقرب وقت ، وفي ذلك يقول الرسول بولس : "الذي في آثام جسده إذ قدَم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه" (عب ٥: ٧). فالمسيح طلب من أبيه أن لا يسمح لروحه أن تنفصل عن جسدها طويلا فوعده بذلك . . لذلك استودعه الروح على أن يسترجعها بعد ثلاثة أيام بقوله : "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" فكأنه يقول له : "أيها الأب قد صدر أمرك بتضحية نفسي على أنك تردها لي بأقرب وقت فها أنا أمتثل الأمر شاربا كأس الموت إلى آخر نقطة . ولو كان يعز على جسدي الانفصال عن نفسي بعد أن استمر معا على أتم الاتحاد والائتلاف والمحبة" . قال هذا وأمال رأسه واضعا روحه بيد أبيه .

ما من روح خرجت منتصرة من جسدها كهذه الروح ، ولم يخرج آخر نفس بكيفية مهيبة ومؤثرة كخروج هذا النفس الأخير من أنفاس المخلص . فقد خرجت روحه بدون خوف بل خرجت فائزة حتى أرعبت جميع قوات الظلمة. إن البشر عادة تضعف وتخور عزيمتهم إذا دنوا من باب الموت مهما كان جبروتهم ، لكن المسيح عاش حياته "لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته" (مت ١٢: ١٩). لم يكن جبارا وقويا إلا حين أراد أن يجود بنفسه الأخير .

الآن قد انقشعت أمامه تلك الظلمة السرية التي أخفت عنه منظر وجه الآب وجعلته يصرخ "لماذا تركتني". الآن قد ذهب الشعور المؤلم بأنه قد تركه وحده ، ذاك الذي كان معه منذ الأزل . الآن قد وصل إلى النهاية فصرخ بكل يقين أن الآب لم يتركه .

لا قوة لأي بشري على إخراج صوته وهو يحتضر ، أما المخلص فصرخ "بصوت عظيم" (مت ٢٧: ٥٠) ليدل على أنه رب الحياة ورئيسها (أع ٣: ١٥).

فماذا نتعلم إذن من هذه الكلمة: "يا أبتاه في يديك استودع روحي" إن طاعة المسيح لأبيه طول حياته هي التي جعلته يثق به عند موته. فإذا نحن سلكنا على طريقته نصعد إلى السماء بسلام و نتمتع معه في مجده. إذا اقتفينا أثار معلمنا الإلهي بطاعة إرادة أبينا السماوي ننال المجد الحقيقي، وعلينا أن نعلم أن طاعة المسيح كانت طاعة عملية، فإذا كنا نريد أن نطيع الرب فلنطعه بأعمالنا وأفكارنا وأقوالنا .

إن روح المسيح أطاعت الأب حال خروجها من جسده خرجت :

١ـ قوية . . . وقوة النفس كثيرا ما تغلب ضعف الجسم . من يفارق الحياة بعد أن يكون قد عاش فيها عيشة صالحة تكون له هذه الذكرى قوة تساعده على التغلب على الموت. إن الروح يرق إحساسها بمقدار ضعف الجسم فتشعر عند الموت بحلاوة الخير كما هي ، وبمرارة الشر كما هي ، فلنحذر عمل الشر كي لا تذوق أرواحنا مرارته عند الموت . فماذا تزرع شجرة الخير أم شجرة الشر ؟ إن الأولى حلاوة للروح عند الموت بينما الأخرى مرارة لها. "فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. و من يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غلا ٦:٧ ، ٨) .

٢ـ منتصرة على أعدائها . . . فالمؤمن يحس بلذة الانتصار على أعدائه الروحيين عند الموت. يعرف مقدار الأخطار التي كانت تعترضه وقوة الأعداء التي كانت تحاربه فيفرح ويندهش. يفرح بالانتصار ويندهش كيف نجا مع ضعفه وعظم الأخطار، فيغني كما غنى الإسرائيليون على بحر سوف ويقول: "أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي . وقد صار خلاصي . هذا إلهي فأمجده . إنه أبي فارفعه " (خر ١٥:١ ، ٢) نعم يا رب فأنت الذي أوليتني الانتصار ، فلأتكل عليك إذا وليس على سواك .

الهزيمة ليست هي هزيمة القواد في المعارك ولكنها هي هزيمة الروح الشريرة حين الموت ، فكما يفرح المؤمن بانتصاره يحترق الشرير أسى لانكساره .

٣ـ فرحة . . . لأنها أكملت عملها ولم تصرف دقيقة واحدة إلا في عمل الخير، فالذي يقضي حياته في عمل الواجب لا يقدر قيمته ولا يفرح كما يجب إلا عند الموت ، كم من كثيرين عند دنو وفاتهم يضطربون وينزعجون لعلمهم بأنهم عاشوا الحياة يعصون إرادة إلههم ، فلا شيء يلاشي الخوف ساعة الموت إلا الإيمان الحقيقي الذي يلزم الإنسان بطاعة أبيه السماوي .

إن الذي جعل المسيح يطمئن عند موته هو علمه بأنه لم يقض حياته عبثا . إن للإنسان حياة واحدة فإذا قضاها في خدمة العالم يشعر عند الموت بأنه فقدها إلى الأبد ، وهذا هو سبب الخوف من الموت . أما الذي يقضيها في مخافة الله "فواثق عند موته " (أم ١٤:٣٢). والرسول بولس يهتف منتصرا قبل موته قائلا : " قد جاهدت الجهاد الحسن . . . و أخيرا وضع لي إكليل البر " (٢ تي ٤:٧ ، ٨) .

إن الأشرار يرتعشون عند حلول الموت لعلمهم أنه سيحسم خيط وجودهم الأرضي و يلقيهم في غمرة الألم . ولكن سحن الموت لا تتهجم على المؤمن بل يتقدم إليه الموت كصاحب بشوش ويفتح قفص الجسد لكي تطير الروح بسرعة إلى حضن الفادي .

إن عبيد الشيطان يرتاعون من القبر لأنهم يتأكدون أنهم يأخذون فيه أجرة الخطية ، أما المؤمن فإنه يسمع الصوت الفرح " من يد الهاوية أفديهم . من الموت أخلصهم " (هو ١٣:١٤).

فليفتكر في هذا جميع المؤمنين الراحلين من هذه الحياة وليستعدوا لتسليم أرواحهم بيد أبيهم السماوي عند خروجها من أجسادهم فلا يقدر جميع الأعداء على نزعها من يديه . و لا يخفى أن الموقف بين الموت والأبدية حرج جدا فيجب أن نجمع حواسنا وكل إيماننا وثقتنا بالله ونسلمها مع نفوسنا له تعالى . فلا ينبغي أن نجزع حينئذ بل علينا أن نكرر كلمة لمسيح المبارك "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" . ثم نقبل الموت عن طيب خاطر ونتقبل الجزاء المعد لنا .

إن تسليم كل ما لنا حين الوفاة هو أفضل استعداد للموت . فلا تخف أن ترفع هذا الحاجز من الوسط . أي جسدنا الذي يحجب وجه الله كما هو ، لا تخش أن تسلمه للدود والفساد . فلنخضع للمشيئة الإلهية ولو على الوجه الذي لا تستحسنه بشريتنا . فمتى كان خضوعنا على هذه الصفة ألقينا نفوسنا في بحر المراحم الإلهية الذي لا حد له حتى أن الخطايا على كثرة أنواعها التي يحاول الشيطان أن يذكرنا بها ساعة الموت تكون بالنسبة إليه كنقطة صغيرة لا تحدث فيه أقل كدر .

فحينذاك لا تنظر أيا المؤمن إلا إلى صليب المسيح واستحقاقات ابن الله الفادي ، فقطرات دمه تغسل إثمك ، وصليبه يصير لك سلماً ترتقي عله روحك إلى راحة الأبد . لا تتكل على أعمالك وتنظر إليها كأنها هي التي تؤهلك لملكوت السماوات إذ أن أعمالك بدون دم المسيح كخرقة بالية . استند بكل قوتك على الصليب في عمل مسرة فاديك وإتمام شريعته وإذا وصلت إلى باب السماء فأدخله فقط باسم يسوع حيث تلقى الترحاب الكامل في الديار الأبدية .

تأمل جيدا في كلمة السيد المسيح فإن لفظة يا أبتاه تدل على تمام المحبة . و لفظة "أستودع" تبرهن على ملء الرجاء والاتكال والرضى بما يدبَره الله . ولفظة "روحي" تشير إلى الروح العزيزة وكل ما هو لذيذ ومحبوب وثمين . فإذا نظرت إلى كثرة خطاياك في ساعة رحيلك وهالك الأمر ، فارفع رأسك إلى العلاء وتأمل في استحقاقات المسيح تجد علاجا تداوي به خوفك .

إن كل شيء مهما تعاظم فهو أقل قيمة من المسيح... وإذا كان الله قد بذل عنا ابنه الوحيد فهل يبخل علينا بمغفرة ذنوبنا . فقو إذاً إيمانك وثق أن الله يغفر لك جميع زلاتك . إذا كان تعالى قد أمرنا بأن نغفر فإياك أن تقنط أو تيأس بل اتكل على رحمة الله وحنانه .

كم من الشكر يستحق الرب يسوع لأنه فتح أمامنا باب رحمته واسعاً . أيها المؤمن إن جهنم لا تستطيع إلا أن تبين لك السجن المظلم وتريك كامل الآلامات والشقاء و الظلمات التي اختطفك منها السيد المسيح . ويظهر لك صباح يوم القيامة - الذي لا ليل له - غبطة سعادتك المشتراة بدم المسيح الفادي.

الفصل الحادي عشر
يسوع يسلم الروح

"و نكس رأسه و أسلم الروح" (يو ١٩ : ٣٠)

أسلم ابن الله الروح بيد أبيه و مات. هوذا الابن يموت، الحي يفقد الحياة. الذي أقام الأموات يسلم روحه بيد أبيه. مات الابن الحبيب. ها شمس البر قد غربت فوق الجلجثة. ها شجرة الحياة قد انحنت و مالت ميل الموت . أيها الخطاة مات مخلصكم أيها الصالحون مات مبرركم . مات أيها الفقراء مشبعكم . مات أيها الأطفال حاميكم . مات أيها البائسون من يشفق عليكم ، مات أيها الحزانى معزيكم، فاندبوه جميعاً و اطلبوا منه أن لا يطول زمن احتجابه عنكم و قولوا معه "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً" (مز ١٦ : ١٠).

أنظر أيها المؤمن إلى مخلصك و هو يسلم روحه بيد أبيه . و إذا رأيته منكس الرأس فلا تكن كاليهود الذين تصوروا أنهم هدموا ملكوته بصلبهم إياه ، فهذا الذي تراه الآن منكس الرأس سيُرى في مستقبل الأيام جيش جنود المؤمنين الذين سيعترفون به ملكاً . كما سيُرى أولئك الشهداء الذين بسفكم دمهم لمجده ينسجون له رداء ملكه الأبدي الأرجواني . و كذا سيُرى صولجانه الفضي يسحق عروش ملوك الأرض .

كان أعداؤه يفتكرون أنه سيكون وحده فإذا به في العالم له رعية تحبه كأب و تخدمه كملك و تعبده كإله دون أن يقدر أحد أن يغير أو يخفف من عظم شرفه هذا في الأجيال الآتية .

أيها البشر إذا رأيتم مخلصكم يصرخ بصوت عظيم و يسلم الروح ، فاعلموا أنه يلتفت إلى السماء و يقدم ذاته للآب كالحمل الناشب في الأشواك و المعد للقيام مقام اسحق في ذبيحته . وكآدم الجديد المجتني الأشواك الثابتة على الأرض الملعونة . و أخيراً كالمسيح الذي قدم له إسرائيل (الكرمة المجدبة) عليقاً مع أنه السيد القادم ليجني الثمار . و بما أنه الضحية الكفارية و ملك المستقبل فقد قدم رأسه المجيد المزين بالإكليل المضرج بالدم كشمس بأشعتها ، و تحت ذلك الإكليل المضيء الذي لا يستطيع أن يكتنفه ظلام . تبصر عين الأبرار و يحيي قلبهم كل يوم محبة الله وعظمته.

نعم لقد وطدت النعمة عرشها على فضل الآم الفادى و مسك الصولجان الذهبي و عرى مملكة رئيس الظلمة فانفتحت أبواب تلك المقبرة الهائلة و تحركت حياة جديدة بين سكانها الأشقياء و أخذ الخلود يتمشى بين القبور.

رفع صوته وهو يموت "و إذا ... القبور تفتحت و قام كثير من أجساد القديسين الراقدين" (مت ٢٧ : ٥٢) . فصحب موته قيامة الأموات . فهل وُجد ميت مثله يستطيع حال موته أن يحيي المائتين طالما كان القبر يفتح فاه ليقبل فرائسه الذين لم يكن لهم مناص منه وعندما كان يضمهم لا يعود يردهم . "ثلاثة لا تشبع . أربعة لا تقول كفا . الهاوية و الرحم العقيم و أرضٌ لا تشبع ماءً و النار لا تقول كفا" (أم ٣٠ : ١٥ و ١٦) لم يكن القبر قد شبع و مهما بلع فلم يقل كفا و لكن عند موت المسيح أخذ يفتح فاه و يرد فريسته طاعةً له ، لأنه بالموت غلب الموت .

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

قال مار يعقوب السروجي : " بأي ميت تحرك الأموات و قاموا من القبور ... من مِن الأموات سقطت قدامه أسوار الهاوية ؟!.. من هو الذي رفس القبور فتجشأت الأموات . من هو الذي ألقى الخراب فى أرض الموت المخصبة ؟!... من هو الميت الذي رُبط و صُلب بين اللصوص و حل المربوطين من الظلام و أخرجهم ؟!... من هو الميت الذي أعطى الحياة الجديدة و ارتعدت منه قرية الأموات لما نظرته داخلاً إليها ؟!... من هو الذى وضع إكليل الشوك و صلب و حمل تاج الموت لئلا يملك أيضاً ؟!".

قال المخلص : "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض و تمت فهي تبقى وحدها ، و لكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يو ١٢ : ٢٤) .. فموت ابن الله أثمر الحياة الأبدية "لكي يقربنا إلى الله مُماتاً في الجسد و لكن محييً في الروح" (١ بط ٣ : ١٨) ... قد ذاق الموت لكي يورثنا الحياة الأبدية ، فكما أن آدم الأول لما أكل الثمرة الأولى المحرم أكلها جر الموت على ذريته كلها ، فقد جاء آدم الثاني أي المسيح و ذاق الثمرة المرة ، ثمرة الموت ليمنح جميع البشر حياة الأبد .

مازال السيد يقاسي و يتجرع غصص السخط الإلهي و البشري إلى أن أكمل و أسلم الروح فختم هذا المشهد الخطير . اسمعوا أيها الخطاة نبأ يقوي رجاكم إنه نكس رأسه ، انظروا ملك السماوات يموت ، إن الذي خلق العالم تأنس و هذا المتأنس يسلم الروح ، تأملوا فيه و أرجو الخلاص عن يقين .. أيها الخطاة آمنوا بالمسيح ، اطرحوا أنفسكم بين يديه ، خذوه و اعتقدوا أنه الكل و القوا أيديكم المرتعشة حول ذلك الجسد الدامي ، اجلسوا تحت ذياك الصليب ، المسوا ذلك الدم الثمين و قبلوا جراحاته المقدسة فهي التي جرت منها ينابيع النعم و غسلت جميع لطخات الإثم و الخطية و طهرت الأرض من اللعنة .

حيث كثرت الخطية للدينونة ازدادت النعمة للتبرير ، و حيث كثرت الخطية للنجاسة ازدادت النعمة أيضاً للتطهير ، و حيث كثرت الخطية للقساوة و المعصية ازدادت النعمة للتليين والإخضاع ، و حيث كثرت الخطية لسجن البشر ازدادت النعمة للمناداة بعتق المأسورين ، و حيث ازدادت الخطية لمخالفة الشريعة و إهانة معطيها ازدادت النعمة أكثر كثيراً لجبر كسرها و محو تلطخها ، وحيث كثرت الخطية لإفناء النفس بنار لا تطفأ و دود آكل لا يموت ازدادت النعمة كثيراً لإطفاء اللهب و شفاء الجروح .

فيا لله . ما كان أسهل على الجميع معرفة تلك الهيئة المجيدة ، هيئة الفادى في إبان الموت و مهابته . إشعياء يستطيع أن يعرف بذلك الجسد الممزق بالعذاب رجل الآلام و أن يقيم بالدم الذي كان يغشاه البرهان الذي لا ينقض على أنه دخل في معصار الغضب الإلهي لكي يصنع وحده فعل الخلاص .. و داود إذ نظر إلى جروح رجليه و يديه و أحصى عظامه المجردة ووجد على شفتيه آثار المر و الخل يعرف أنه كان سليله و مسيحه . . . و عند حدوث ذلك البلبال العام في العناصر و النفوس كان يستطيع دانيال أن يعرف رجسة الخراب . . و كان حزقيال يكرم راعيه . . ويوئيل يكرم البار الأعظم . . و ملاخي يكرم ضحية الذبيحة العامة . و كان موسى ينحني أمام مشترع المستقبل الأعظم الذي هو كبير بعظمة ذبيحته الإختيارية .

يسوع كان ملكاً نظراً إلى سلالته و كانت الكتابة الموضوعة فوق رأسه تصيح بيعقوب قائلة : إنه إذا كان قد زال قضيب الملك من يهوذا فقد تناوله المسيح المنتظر من كل الشعوب و المفتتح ملكه على العالم منذ ذلك الحين فصاعداً ، فاسحق و إبراهيم و سام و نوح لم يكونوا مستطيعين أن ينكروا ثمرة أحشائهم و موضوع إيمانهم و لم يبق لآدم إلا أن يحتمي وراء نسل

المرأة الذي سحق رأس الحية . و جميعهم خرجوا من قبورهم و مروا أمام خشبة العار المخضبة بالدم لوجب عليهم أن يتحققوا بمد يدهم إلى الضحية أن سر الفداء قد تم .

و فضلا عن ذلك فإن فريقاً من الأحياء قد رأوا إصبع الله في هذه الشهادة المؤثرة المبررة من الطبيعة المضطربة . و أن قائد المائة الذي كان قد تولى أمر الجنود الرومانيين تأثر قبل الجميع و قال : "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" (لو ٢٣ : ٤٧) و قال مع الجنود أيضاً "حقا كان هذا ابن الله" (مت ٢٧ : ٥٤) . و عليه فإن يسوع لم يكد يرتفع عن الأرض حتى جذب إليه باكورة الأمم .

لكن تعالوا و تعجبوا. هل أثر موته في نفوس صالبيه ؟ الصخور رقت له و لكن قلوب الخطاة لم ترق!.. مات و لكنهم لبثوا يبغضونه بل اعتدوا على جسده الطاهر . إن اسكندر الأكبر الذي جاهد طويلا ليبيد داريوس الفارسي لما عاين جسده الميت المقتول طريحاً بين جثث الجند لم يقو على ضبط الدموع و هي تسقط من عينيه بل نزع عن عاتقه أرجوانه حالاً و لفه و غطاه حتى وضع في لحد يليق بمقامه الملوكي . أما جسد سيدنا يسوع المسيح فمع أنه ميت و مسمر ومجروح بجملته فقد استل عليه أحد الجنود حربة ليشق بها جنبه و يطعن قلبه !!

ولكن الذي غلب قاتليه بصبره انتصر على الذي طعنه بموته، وهل سمع أن ميتا يغلب حياً؟

"للوقت خرج دم و ماء" (يو ١٩ : ٣٤) انظروا إلى تلك الحربة ترونها قد تغطت بالدم . فالشكر لله إن الدم غطى الخطية . قال النبي "في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوح لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية و النجاسة" (زك ١٣ : ١) . فها قد انفتح الينبوع المطهر للخطية وللنجاسة . هلموا أيها العطاش اشربوا و استقوا مجاناً . انفجرت المياه من الصخرة فليشرب الشعب و ليرتو إلى الأبد .

قال مار يعقوب السروجي : وضع الله على باب الفردوس "الكروبيم و لهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تك ٣ : ٢٤) . جاء المسيح ليدخل الفردوس بصليبه فسمع الحارس فأتى بالرمح و طعنه به . قبل الرمح بجنبه و فتح لكل الداخلين . فتحوا جنبه ليدخل منه الخطاة إلى السماء . جرى منه الماء و الدم . بئر جديدة انفتحت على الجلجثة . جرى منه الدم ليظهر أنه حي ، و جرى منه الماء ليعرف أنه ميت . من نظر ميتاً حياً إلا ربنا ! إن فادينا سفك أيضاً الدم القليل الباقي في قلبه ليرى العالم عظم محبته إذ أنه أهرق دمه الطاهر إلى آخر نقطة .

فقومي يا نفسي من سباتك و شاهدي الدم و الماء يسيلان من جنب مخلصك الحبيب على الأرض . قبليه بشفتيك لكي يتطهروا و خاطبيه بهاتين الشفتين المطهرتين بالدم و الماء السائلين منه قائلة : اجعلني يا مخلصي أهلاً للدخول إليك من هذا الجنب المفتوح حتى يحيطني كمالك غير المتناهي و يحجب عني كل ما في العالم من مجد باطل و نعيم زائل . لا تدعني التفت إلى غيرك بل اجعل أغنيتي الوحيدة في كل أيام وجودي على هذه الأرض هي : "لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي" (مز ١٤١ : ٨)

تفرسي يا نفسي في الصليب فماذا ترين ؟ إنك ترين السيد ميتاً و لكن ذلك السيد الميت هو رئيس الحياة. هو الذي له حياة في ذاته . قد مات لأنه كان يجب أن تموتي أنت . هو مات ليرفع الموت عنك و ليعطيك حياة أبدية . موته حياة للخطاة و بدون ذلك الموت لا حياة للميت بالخطية.

فلنخاطب جميعنا مخلصنا قائلين: يا مخلصنا الحبيب كلما نراك منكساً رأسك ومسلماً الروح نتعزى ونتشجع واثقين بخلاصنا فلنودعك ذواتنا ليس في ساعة الموت. بل من الآن لا تسمح أن ننفصل عنك لحظة واحدة ، إن نظرنا إلى جسدك الذي تعددت فيه الجراح يملأنا علماً بعظم محبتك

وجزيل خيانتنا . أنت الذي أحببتنا و لكن كم من المرات نحن نقسو عليك بخطايانا ؟ كم من المرات ينادينا دمك الطاهر أن نقوم من الخطية و نحن نبقى فيها ؟ فالويل لك أيها الخاطئ يا من تحتقر هذا الإله الذي تراه معلقاً لأجلك على الصليب .

يا جراح المسيح اجرحيني بحربة الحب الإلهي .
يا دم المسيح أسكرني بحب الفادى الحبيب .
يا موت المسيح اجعلني أن أموت مفعماً بحبك .

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الفصل الثانى عشر
يسوع يدفن

"وإذا رجل أسمه يوسف طلب جسد يسوع وأنزله ولفه بكتان ووضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط" (لو ٢٣: ٥٠ – ٥٣)

لنتأمل الآن كيف أنزل السيد من على الصليب. إن الأصدقاء والأحباء تظهر قيمة محبتهم فى وقت الشدة . ولا توجد شدة تحل بالإنسان كالموت . فالصداقة الحقيقية تظهر بعد الموت فمن الذى أهتم بأمر مخلصنا وهو مائت؟ ومن الذى أستمر بجانب الصليب إلى أن دفن؟ إن متى الإنجيل يخبرنا إن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأبنى زبدى كن عند صليبه بعد موته مع نساء كثيرات (مت ٢٧ : ٥٥- ٥٦) ويوحنا يذكر أنه نفسه كان يشهد طعن يسوع بالحربة بعد موته على الصليب وكانت أم المخلص معه (يو ١٩ : ٢٥- ٣٥) ولكن كيف يتمكن هؤلاء الضعفاء من أن ينزلوا جسد المخلص من على الصليب ليدفنوه؟ إن رجلاً غنياً من الرامة أسمه يوسف كان هو أيضاً تلميذاً ليسوع تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع.

جاء فى التقرير المشهور الذى رفعه بيلاطس إلى طيباريوس قيصر قوله فى وصف حاله بعد أن تم صلب المسيح "فرجعت إلى كرسى القضاء كاسف البال كثير التفكير والبلبال ولما صعدت السلم الذى كان لا يزال ملوثاً بدم الناصرى شاهدت رجلاً هرماً فى حالة الاستغاثة والتوسل وكان خلفه جماعة من النساء باكيات فألقى نفسه عند قدمى وبكى بكاءً مراً. لعمرى إنه يوجعنى ويؤلمنى رؤية رجلاً هرم يبكى فقلت له بلطف: يا أبى من أنت وما هى طلبتك؟ فأجاب قائلاً: أنا يوسف من الرامة أتيت متوسلاً لحضرتكم وأنا جاث على ركبتى أن تأذن لى بدفن يسوع الناصرى، فأجبته إلى طلبه فى الحال وأمرت مانليوس أن يصحبه مع بعض العساكر و يباشر معه دفنه لئلا يتعرض له أحد.

أجل هكذا أنزل المخلص من على الصليب بين أيدى أصدقاء قليل عددهم. ولم تحرك المروءة أحداً ممن كان ينتظر وجودهم فى تلك الساعة . نعم لم يوجد من يعتنى به من تلاميذه ولا من أحبائه الذى اجتمعوا بعد صعوده ينتظرون حلول الروح القدس ولا من الأكثر من الخمسمائة أخ الذين ظهر لهم بعد قيامته (١كو ١٥ : ٦) . لم يشهد وضع المخلص فى قبره سوى عدد قليل جداً من تلاميذه ومن المؤمنين به . ولم يكن بينهم توما الذى قال "لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه" ولا بطرس الذى قال "لو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك" ولا ذاك الذى قال له "يا معلم أتبعك أينما تمضى" (مت ٨: ١٩) .

كم من ألوف أحسن إليهم وأمدهم بالخير ولكن لم يحضر أحد منهم ساعة تكفينه. ما أسرع أن يمد الإنسان يده لينال الخير من الله، وما أسرع أن يقبضها حينما يطلب منه الخير. أجل لم يكن دفنه واحد من المرضى الذين شفاهم . كان يجدر باليد اليابسة التى صححها أن تتقدم قبل كل يد أخرى لتخرج المسامير من يده و رجليه . و لكن هذا الإنسان و جميع من كانوا على شاكلته غابوا فى تلك الساعة ليعلمونا أن الذين يشعرون بفضل الرب ليسوا هم كل الذين احسن إليهم بل أولئك الذين لهم شعور حى بخيره فهو يشرق شمسه كل يوم على الأبرار و الأشرار و لكن بين الذين يعطيهم الخير كثيرون يجدفون عليه و يتهاونون به و يحتقرون عبادته.

لقد شفى المخلص مرة عشرة برص ولم يرجع ليشكره سوى واحد منهم حتى أنه قال "أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة" (لو ١٧: ١٧) وحين كان بعض النساء ويوحنا ويوسف ونيقوديموس ينزلون جسد يسوع من على صليبه كان ينادى بلسان حاله قائلاً "أهؤلاء كل من جاءوا ليعلنوا شعورهم بفضلى بقيامهم بدفنى؟ لقد شفيت كثيرين فأين هم ؟ لقد أشبعت ألوف فلماذا غابوا ؟ لقد فرجت كرب عدد عظيم من المتضايقين فلماذا تأخروا ؟ أين تلاميذى ؟ أين كل من أحسنت إليهم ؟ فى كل جيل لا أمنع نعمتى عن أحد ولكن شاكرى الجميل والأحسان قليلون"

ولنا هنا أن نتأمل فى حال أمه عند دفنه ..... تصور أحدهم أنهم حينما أنزلوا جسد يسوع من على الصليب أخذته أمه الحنون و احتضنته وقبلته بوقار عظيم وغسلته بدموعها وخلعت أكليل الشوك عن رأسه وأخرجت بكل أحتراس رجليه ويديه من المسامير وتأملت فى جراحاته وهى تقول "أيتها الجراحات المقدسة أنك لازلت مفتوحة لكل من يحتمى فيك ويلتجئ إليك" .

ومن ثم حملوا المسيح ليدفن .. فلننظر إلى تلك الأم وهى تشاهد أبنها يوضع فى المقبرة. إن الوالدة يشق عليها الوقوف عند فراش أبنها العليل ولا يمكنها أن تشاهده وهو يقاسى ألم المرض والنزاع دون أن تشعر فى فؤادها بكل هذه الأوجاع كأنها هى التى تكابدها، فكم بالحرى كانت آلام أم يسوع حينما شاهدت أبنها يوضع فى القبر. لا ريب أنها تذكرت حينئذ الأوقات السعيدة التى مرت بها وناجت نفسها قائلة : أين ليالى بيت لحم إذ ابتهجت السماء بولادة ابن الله، وأتى الرعاة والملوك يسبحونه ويسجدون له .

قال أحدهم"أن المسيح كتب وصيته على الصليب فأعطى ثيابه للعسكر . وأمه ليوحنا، وروحه لأبيه، وجسمه للقبر"

وبينما كانت أشعة الشمس تغرب وتتوارى وراء الجبال كان رب الحياة يرقد فى القبر بين طيات الأكفان . وفى أثناء ذلك كانت كل عائلة قد ذبحت فى الهيكل حمل الفصح وتهيأت لأكله دون أن يخامرها أدنى فكر بأن قربان الجلجثة قد ألغى فوائد كل هذه القرابين . وبأنه منذ ذلك الحين أصبح الخلاص فى يسوع وحده، لأنه هو وحده ملك الحياة: أما أنتم يا أحباء يسوع فلا تخافوا فهذا الذى ترونه يدخل الهاوية لابد أن يحارب فيها أعداءه ويغلبهم ويقوم فائزاً منتصراً .

قال مار يعقوب السروجى "أدم نزل القبر فنزل ابن الله خلفه . . . وقلب تراب الأموات وطلبه بين الهلاك. ملك الموت وعقد التاج على القبائل لم يقدر عبد أن يحل تاج الموت. من أجل هذا دخل ربنا إلى مكان الموت ليميت الموت ويحل أدام من سلطانه. لما دخل أخذ لباس الأموات ولونهم ليفتقدهم. أشرق النور على الحزانى وأبهجهم. وهتفت بالمجد الأفواه المسدودة التى أفتقدها. زأر الأسد بالهاوية وسمعه الموت، وارتعد الشقى،وسقط تاجه داخل الظلام".

لو لم يتألم المسيح ويموت ويدفن لأجلنا ما كانت لنا تعزية عند الموت لأن الفكر بأننا سنوضع فى القبر مخيف جداً. أما يسوع فقد مات ووضع فى القبر لأجلنا حتى لا نخاف من الموت.

فليقل كل مؤمن:

أهلاً بالقبر لا أعيش على الدوام		يسوع كان فيه فلا أخشى الظلام
هنـــاك أرتـــاح إلى أن يقيمنـــى		راحباً به إذ يجئ بالنصر السنـــى

فلنتأمل إذاً فى موت مخلصنا ودفنه لأن الملائكة تشتهى أن تطلع عليه (١بط ١: ١٢) ولو فتحت عيوننا حينئذ كعينى خادم أليشع (٢مل ٦: ١٧) لرأينا جماهير من الملائكة بين الواقفين عند الصليب. لرأيناهم يرفرفون فوق الصليب ويحدقون به مندهشين من المنظر الذى شاهدوه هناك. ابن الله معلق على الصليب .

إن الملائكة صوروا على تابوت العهد كأنهم واقفون على كرسى الرحمة يتأملون أليه ويتفرسون فيه . فهم الآن يقفون متعجبين من أن الذى السموات وسماء السموات. لا تسعه (١مل ٨ :٢٧) يوضع فى قبر صغير . هل نستطيع أدراك هذا المشهد الغريب . ولو حتى فتح باب السماء إلا يصبوا الناس كافة إلى التفرس فيه ونظر عجائب الفردوس. غير أن الأمر فى هذه القضية عكس ما ذكرنا لأننا نرى كوة مفتوحة فى السماء نحو هذا العالم الساقط وملائكة العلى تتطلع إلى الأرض كأن ليس فى السماء موضوع يجذب أبصارهم كالمسيح وخلاصه .

فتأملى يا نفسى فى تأملت فيه الملائكة . تأملى فى اليدين الكريمتين اللتين أشبعتا آلاف فى البرية، اللتين مسكتا المريض و اقامتاه. انظرى رجليه اللتين مشيتا على البحر. رجليه اللتين دهنتهما مريم بالطيب ومسحتهما بشعر رأسها الآن لا حركة فيهما. الآن تلف اليدان والرجلان المقدسة فى الكفن . انظرى انظرى أليه وهو يوضع فى القبر ويترك هناك لينام . ياله من أمر يذهل العقول ويحير الألباب . يا يوسف، يا مريم، يا يوحنا، كل هذا قد تم أيضاً لأجلكم ولأجلى أنا أيضاً ولأجل كل واحد من المؤمنين .

من أنا يا ألهى حتى تسلم أبنك للموت لأجلى؟ ألست أنا دودة حقيرة أهنتك بأعمالى الرديئة الشريرة وأستحقيت سخطك وغضبك؟

أما أنت يا مخلصى الصالح يا من مت لتحيينى وسفكت دمك لتغسل به اثمى فأعطينى أن أنظر أليك وأنت على صليبك تموت حباً بنا. أعطينى أن أرى الصليب كأنه عرش مجدك، والموت كأنه صوت حبك . فالمحبة على عرشها . فلنبق إذاً على هذا الصليب ولنمت مع مخلصنا الصالح لنشبع من حبه ولنستحق الجلوس معه فى عرشه .

قالت العروس فى النشيد "وجدت من تحبه نفسى فامسكته ولم أرخه" (نش ٣ :٤). لقد تمسك به النسوة بشدة عندما التقين به بعد قيامته (مت ٢٨: ٩) فتعلقى به يا نفسى ولتتشبث به يداى. لا تحولى يا عينى نظرك عنه. أميلى يا أذنى بسمعك أليه. أنس يا قلبى كل شئ إلا يسوع. أضرم فى يا مخلصى حبك لأحيا وأموت فى حضنك وأسلم الروح بين يديك الطاهرتين .

هلم نقبل قدمى مخلصنا المثقوبتين. هلم نلمس جراحته المقدسة. ما بالنا لا نندم على خطايانا ونحن نراه متألم لأجلنا، أنحتقر حبه؟ أنزدرى بدمه؟ هلم نسمر أرادتنا معه على الصليب حتى لا نبرح موضع سلامنا وينبوع سعادتنا !!

عليـه تـاج شوك	بالـــرأس حـامــل
وجنبـــه أرانــى	بالـــدم ســائــل
يا عجبى من حبه	إذ أرتضــى بصلبـــه
و عنـد قدميـــه	قــد لــذ لى الجلـوس
مسبحـــاً ممجـداً	مخلصـــى القــدوس
فكل أزمان الأبـد	لا تكفى سبح ذا الصمد

الفصل الثالث عشر
فى ضرورة كفاءة موت المسيح للخلاص

"لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون و بالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" (رو ٥ :١٥)

تأمل أيها الإنسان فى أنه لم يكن يمكن خلاصنا إلا بموت المسيح. تجسد ابن الله لكى يؤدى الفداء عنا ولم يكن ممكناً افتداؤنا بنوع أخر حسب ما يقتضيه العدل ، لأن الخطية غير متناهية بصدورها ضد إله غير متناه. ولم يكن فى وسع الإنسان أن يفى عنها لوجود البعد العظيم غير المتناهى بين الله و الإنسان، فلذا دعت الضرورة إلى أن يكون من يفى عنها ذا شرف وقدر غير متناه ومساو فى كل شئ لمن أساء إليه.

قال أحد علماء اللاهوت : لنفرض أن خادماً لطم ملكاً أو ضربه بعصا، فمن المحقق أن كل تعذيب يلحقه به الملك لا يكفى لمحو ذلك الذنب لوجود البعد العظيم بين قدر الملك السامى الشرف وبين الخادم الوضيع النسب. لأنه أى تناسب بين إهانة الملك وتعذيب خادم أو موته. وكيف يمكن أن يكون الوفاء مساوياً للحق إلا إذا كان المسىء مساوياً قدراً ومقاماً لمن أساء إليه، وقبل أن يقدم له من الترضيات كل ما يفرضه عليه رداً لإهانته وتكفيراً عن زلته ؟

و هكذا نجد الإنسان الحقير الذى بمنزلة الدودة والتراب أهان ملك المجد بالخطية ، فلو أن الله أماته لما مُحيت الإهانة بموته، فكان ينبغى إذاً أن يكون الإنسان إلهاً مساوياً له ويقبل على نفسه قصاص الذنب وفاء عن ذنبه ليمكن على هذا النحو أن يمحى ذنبه، فهيهات إذاً العلاج وقد بعد الدواء بعداً غير متناه إذ ليس فى الوجود إله سوى الذى صُنعت ضده الخطية.

ولكن الله أظهر رحمته الغزيرة ودبر واسطة عجيبة ليغفر للإنسان و يفى ما كان عليه لعدله الإلهى، لأنه تعالى وقد عصى الإنسان أمره لما رأى أن حقه المهان بالمعصية اعظم من أن يُستوفى من قبل الإنسان ، تأنس ووضع نفسه تحت العقاب الذى استوجبته خطية الإنسان لكى يكون الوفاء ذا قوة غير متناهية كما كانت الإهانة على نوع ما غير متناهية.

وإن قال قائل إننا كنا نستحق أن نتألم إلى الأبد وأما المسيح فإنما تألم إلى برهة فكيف يمكن أن يوازى تألمه مؤقتاً ما نستحق أن نكابده مؤبداً. فنجيبه أولاً ينبغى أن نتذكر من هو الذى تألم بدلاً عنا وننظر إلى جلال شخصه، وثانياً، إن الخاطئ يستوجب قصاصا إلى درجة غير محدودة لأن الخطية جرم لايُقاس. ولكن الطاقة الإنسانية لاحتمال الآلام قاصرة ومحدودة ولا يمكن للإنسان أن يحتمل كل ثقل غضب الله لحيظة، ولو أنه قدر على ذلك لما نفعه شيئاً فى سبيل الكفارة لأنه إنما يقاسى استحقاق قصاص خطاياه فلا يقدر أن يكفر عن نفسه أو عن غيره ، ومهما تألم فإن آلامه لا توجب له الغفران أو الإطلاق من موضوع العذاب.

أما نفس فادينا العزيز فكانت إناء المحبة الإلهية التى لا تُقاس فكان يستطيع أن يشعر بحقيقة الخطية أمام الله ويكابد الوجز الإلهى بسببها فى نفسه البارة إلى الدرجة غير المحدودة وبعمق ألم لا يتصور ولا يقاس. وكان من الجهة الواحدة يعرف الله تماماً وكل ما كانت العزة الإلهية تقتضيه، ومن جهة أخرى عرف الخطية كما هى كذنب باهظ جداً مُغيظ لله وبما أنه لم تكن فيه خطية فاستطاع أن يأخذها عليه ويحتملها لدى الله إلى أن اكتفى العدل اكتفاء تاماً وقال كفا فلم يكن ممكناً إذاً أن يقبل الله البشر الخطاة بدون كفارة. لو عفا عن الخطاة بلا كفارة فأين كانت

للقداسة والحق لأنه صرح أن الخطية مكرهة أمامه وانه لا يبرئ المذنبين. ولو أهلك الجميع بحق، ولو أن ذلك لا يكفر، فأين المحبة. ولكن الشكر لله إلى الأبد لأنه وجد طريقاً به يقدر أن يبرئ الفاجر ويظل باراً. قال بولس الرسول " الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" (رو ٣: ٢٥، ٢٦).

إن القصد من موت المسيح هو إيجاد الاتحاد بين بغض الخطية والحنو والعطف على الخاطئ. بين اعتبار عادل لصفاته تعالى وشريعته وسياسته واعتبار رحوم لبنى البشر الأشقياء.

أيها الخاطئ الطالب الخلاص : فتش عنه فى كل مكان فإنك لا تجده حتى تأتى عند الصليب. وهناك تقول : قد وجدنا مسيا . الذى تفسيره المسيح (يو١ :٤١) هناك لا تتمالك من أن تصيح "هوذا حمل الله الذى يرفع خطايا العالم" وخطيتك من جملة هذه الخطايا. اقترب منه بلا خوف لأنه أعد لإظهار مجده كما أعد لخلاص نفسه.

إن صليب المسيح هو قوة الله للخلاص من الهلاك الأبدى، ولكن يوجد عدو أخر ينبغى أن يُخاف منه، وهذا العدو هو الخطية. وبدون أن ينجو الإنسان من الخطية لا يجد له سماء. والله وضع طريقة الخلاص من الخطية فى صليبه. فإذاً القصد من موت المسيح ليس فقط أن ينجينا من القصاص بل أيضاً من الخطية الدنيئة ونتائجها، كقول الرسول بولس "الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة" (تى ٢: ١٤).

فالمسيح مات ليغير قلب الإنسان الساقط العنيد المحب للذات العالمى الشرير، إلى صورته الأصلية وهكذا يؤهله للشركة الإلهية بصيرورته شريكاً فى الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤) أفلا يشعر الإنسان متألماً من جرى وجود الخطايا فيه كما يشعر متألماً بالغضب الحال عليه من الله لأجل خطاياه. انظر أيها الخاطئ المضطرب إلى يسوع المسيح لأن فيه كل ما تحتاج إليه، وهو يصير لك حكمة وبراً وقداسة وفداء (١كو١: ٣٠).

فعلى أى أساس تتكل لخلاصك من الخطية؟ اسمع لقول الرسول "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً أخر غير الذى وُضع الذى هو يسوع المسيح" (١كو٣: ١١) فاتكل على يسوع فقط للتخلص من خطاياك. إن كنت قد جاهدت كثيراً بقوتك لتتخلص من الخطية وفشلت، فإليك البشرى المعزية "تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل" (٢كو ١٢: ٩). إن هذا يكفى لأن يحملك على الوثوب إلى ذراعى المسيح المصلوب المضرج بالدم لأجلك والمُكابد الألم بدون مصلحة ذاتية لأجل أعدائه كى يفوزوا بالحياة.

أيها الخاطئ لاشك إنك تشعر حين تتأمل فى خطاياك الكثيرة أنه ليس فى مقدورك أن تحظى بحضرة الله، وأنك حين تتفرس فى صفات الله العادل تبدو لك خطاياك الكثيرة كأشواك جامدة مهيأة لطعن أعضائك ووخزها ولكن لا تجزع من ذلك مادمت ترى أن يسوع المسيح قد مات عنك. نعم لقد تبوأ العدل الإلهى عرشاً نارياً ولكن أمام ذلك العرش وُضع عرش أخر لصليب المسيح الذى يفيض سلاماً ومراً لكى يخفى بظله عن الخاطئ المرتعب مطالب العدل الشديدة.

قف تحت صليب المسيح وناد قائلاً: يا حمل الله السافك دمك لأجلى. إن موتك معجزة رحمة تملأ السماء كلها بالدهشة فاعطنى أن أؤمن بأنك خلصتنى من القصاص الأبدى، وأنك تخلصنى من الخطية لأصير خليقة جديدة. أشتهى أن أعيش لك ولا أقوى على ذلك إلا إذا اتكلت على صليبك. لا تجعلنى أشرك بذبيحتك شيئاً آخر أتكل عليه. اجعلنى أغنى بقولك "تكفيك نعمتى" وأرنم قائلاً:

"أيها الصليب حاشا أن تخطئ الغرض وحاشا أيها الجثسيمانى القاطر فيك عرق الفادى أن يكون ذلك باطلاً". "لتأتى رحمتك يا رب . خلاصك حسب قولك" (مز ١١٩: ٤١).

اجعل نظرك أيها الخاطئ دائماً نحو صليب المسيح ولا تنظر إلى غيره لأن إبليس يفرغ جهده ليعمى أعين الناس ويخفى عنهم معنى صليب المسيح لأنهم لو انتبهوا إليه لوجدوه ملجأ اميناً لهم يهربون إليه من الغضب الآتى. لا تضع على عينيك برقعاً من الاتكال على ذاتك يخفى عن عينيك مجد الصليب فتتأخر عن الإتيان إلى ينبوع الحياة. اذكر الحية النحاسية التى أقامها موسى بأمر الرب لينظر إليها الملدوغون لينالوا الشفاء. انظر إلى أولئك الملدوغين وشاهدهم يحدقون نظرهم بالحية المعينة لشفائهم. إنهم لم يحيدوا نظرهم عن الحية النحاسية حتى ينظروا إلى شمس جديدة كانت تشرق فى الجلد، بل أن عيونهم كانت ثابتة فيما كانوا يعتقدون فيه الشفاء ، هكذا يجب أن يكون دأبك أيها الخاطئ. أنظر إلى يسوع لأن فيه الشفاء وكلما احدقنا بعين الإيمان وثبتناها فى صليب الذى رُفع لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، ازداد شعور النفس بالشفاء والخلاص من الخطية.

اجلس ولاحظ المخلص يموت حتى يتكون الإيمان فى قلبك طوعاً واختياراً فليس من مكان نظير الجلجثة لإنشاء الثقة فى القلب. حقاً إن نسيم تلك الأكمة المقدسة يهب على الإيمان الضعيف المضطرب بأطياب القوة والثبات. ويمنح قلب المؤمن عذوبة حياة جديدة تحلى له مرارة الممات، وكم من مؤمن زار ذلك المكان المقدس وأنشد مترنماً برحيق الإيمان.

لما تمثلت لى ربى الحبيب علـى ... عود الصليب اللعين الموت محتملا
ومن يديك الدم القانى بدا وجرى ... وســال من جنبك المطعون منهملا
آمنت أنك من أجلى احتملت أيـا ... ربــى وذا كلـه عنـى أنـا عمـلا

وغنى أيضاً قائلاً:

أمخلصـــى كـــم من دموع حـــلـــوة ... كالمنون سحت من سمـاء عيونى
لما أقمت لـــدى صليبـــك جاثيـــاً ... متـــأمـــلاً فـــى جنبك المطعون
ذاب قلبى إذ كـم رأيتـــك داميـــــــــاً ... والحـــــزن فى أحشـاى شبه أتون
قد ذقت من أجل الخطاة الصليب يـا ... رب الحيــــاة ومت مـوت لعيـــن
وأنا أثيـم خاطـى نجس ومـــــــن ... دمـــك المطهـــر نقطة تكفينـــى

حقاً إن الصليب عصا العجائب التى تخرج ماء من الصخر فاحترس أن تشك فى فاعليته لخلاصك من الخطية واعلم أن آلام يسوع كافية لخلاصك وخلاص العالم كله إلى الأبد نظراً لهولها، فلا تفكر بإعادة هذه المأساة بعدم تقديرك، ولا تضع إكليل شوك على رأسه بشكك فى قدرته، واعتمادك على قدرتك.

اطلب منه أن ينزع منك هذه الروح الكبرياء، روح الاعتماد على الذات الضعيفة، روح طلب الخلاص من الخطية بقوتك الشخصية. اعتمد على كفاءة موت المسيح لخلاصك. وقل هنا أنا يا رب شجرة بين يديك فاغرسنى فى حقل النعمة واسقنى بدمك الطاهر وأعطنى أن أثمر أثماراً تليق بالتوبة.

الفصل الرابع عشر
معنى الصليب

" ولكن الله بين محبته لنا لأنه و نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا " (رو ٥: ٨)

من قديم الزمان يعلن الله محبته للبشر علي أنواع شتي . وهو يريد علي الدوام أن تتأكد من انه يحبنا. لذلك يذكرنا في كل وقت بأعمال محبته التي يجريها معنا، ففي العهد القديم كانت كل أقواله تنحصر في توبيخ البشر علي قساوة قلوبهم وتذكيرهم بمحبته لهم، كيف كانت أعماله تدل عليها وانه لم يكن يستحق منهم كل هذه القساوة بل يجب أن يعاملوه بالمحبة كما يعاملهم هو.

وكلما عمل الرب علي جذب قلوب البشر إليه ازدادوا إمعانا في الابتعاد عنه ، وأخيراً عزم أن يظهر محبته علي نوع أتم وأكمل ، يستطيع به أن يغير قلوبهم ويلينها ويجعلها تنعطف إليه رغماً "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (١يو ٤ :٩) رب الكرم أرسل للكرامين رسلاً وأنبياء لكي يعلنوا محبته لهم فقتلوهم ولم يسمعوا لهم فأرسل إليهم ابنه الحبيب حتى إذا رأوه يستدلون علي عظم شفقته ويقولون "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ :١٦) ويقولون أنه هو "أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو ٤: ١٠).

إن المحبة التي جاء بها مخلصنا يسوع المسيح لإنقاذنا كانت متقدة في صدره كالأتون ودفعته لتجرع كأس الآلام برغبة قوية. ولما كان يعلم أن عقاب خطايانا شديد للغاية استعد لاحتماله عنا بقوة المحبة كما قال هو عن نفسه "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣) يخطر ببالنا الآن أفعال الكثيرين من الأبطال المجيدين كالأب الذي يدخل بيتاً محترقاً لينقذ أولاده، والشاب الذي يقذف بنفسه وسط الأمواج القوية لينقذ المشرفين علي الغرق. والجندي الذي يثبت في موضعه حتى الموت لكي ينقذ فرقته، إلى غير ذلك من الحوادث التي تظهر الإنسان في أسمى صفات وأخلاق وكلما اشتدت فظاعة الموت وكان طوعاً واختياراً أزداد مجد العمل، فكم بالحري إذا كان الموت بطيئاً كالصليب؟ وكم بالحري إذا كان ذلك لأجل الأعداء "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار" (رو ٥ : ٦) .

لقد بلغت ضحية المسيح أسمى مظاهرها ولهذا يخبرنا الكتاب أن تسليمه نفسه طوعاً لأجل أعدائه كان موضع تعجب موسى وايليا حينما ظهرا مع المخلص علي جبل التجلي (لو ٩ : ٣١) فعظيمة إذاً هي المحبة التي يبرهن عليها بموت المسيح.

إن نقطة واحدة من عرقه في البستان. أو من دمه الذى قطر علي الصليب كانت كافية لخلاص العالم كله، لأنه كل فعل من أفعاله كان ذا استحقاق غير متناه لأنه كان صادراً من إله غير متناه، إلا أن وجوده الإلهى غير المحدود ومحبته التى لا نهاية لها جعلاه يقدم ذاته بجملتها حتى أن الرسول يدعوها محبة زائدة بقوله "الله الذى هو غنى فى الرحمة من اجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح" (أف ٢: ٤، ٥) ولما تكلم زكريا عن النعمة التى كان الله مزمعاً أن يمنحها للعالم بموت المسيح لم يقل إنها صادرة عن رحمته بل من أحشاء رحمته (لو ١ : ٧٨)

فإذا معنى "الصليب" ومعنى "موت المسيح لأجلنا" هو "المحبة" والغاية من ذلك "أن نحبه كما أحبنا" كقول الرسول "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو ٤ : ١٩) فهل أثر فينا موته ؟ وهل فهمنا منه أنه يحبنا، وهل قابلنا المحبة بمحبة مثلها؟ يا لقساوة قلوبنا إذ نوجد غير متأثرين بعد ذلك !!

أخبرنا الكتاب أن ثلاثة ملوك اتفقوا علي ملك موآب فأزلوه هو وبلاده زلاً عظيماً ولم يقو علي دفعهم بالقتال والسلاح فاضطره ميله إلى التخلص من أذاهم أن يأخذ ابنه وحيده البكر وولى عهده وأصعده علي سور المدينة وذبحه بيده قرباناً كالخروف فحنق أعدائه حنقاً شديداً و انصرفوا ورجعوا إلى أرضهم (٢مل ٣ :٢٧). نعم ذبح الملك أبنه ليخلص بلاده لئن كان تصرف هذا الملك البربرى لا يقابل بتصرف الأب المحب لأنه ذبح أبنه لضعفه عن صد أعدائه، إلا أن محبة الله جعلته يقدم أبنه ضحية لخلاصهم . فهل لا يستحق محبتهم. قال القديس يوحنا ذهبى الفم "ليست نيران جهنم وعذابها الأبدى هو الذى يجعلنا نحب الله بل رؤية يسوع المصلوب".

فيا ترى من ألزم الرب يسوع أن يموت من أجل خلاص البشر؟ ما من أحد أضطره إلى ذلك، بل هو الذى ضحى ذاته عنا خاضعاً لمشيئة أبيه. فلو ترك العالم يتدهور فى الشقاء ويسقط فى الهلاك الأبدى كما صنع بالملائكة المتمردين لما كان ظلمنا ولا خسر شئ من مجده، إلا أن محبته الفائقة هى التى لم تقبل بأن ندفع إلى الموت الأبدى ، ودبرت الرحمة تلك الوسطة العجيبة التى حيرت العقل البشرى فجعلت الحكم الذى حكم به علي الإنسان الساقط يرتد علي الابن الوحيد ، فمات البار القدوس عوضاً عن الخاطئ الشقى .

لقد كان فى قدرته تعالى أن يوضح لنا عظم حبه بطريقة أخرى . فلم يرد أن يرسل ألينا ملاكاً لأنه لم يقبل أن يرى يداً غريبة تضمد جروحنا . فياله من حب فائق الوصف لم تخمد نيرانه بطوفان الأوجاع التى انسكبت عليه. بل كان نظير أتون تزداد بالماء اضطراماً . فبمقدار ما نرى الجراحات فى جسد يسوع يجب أن نعتبر النيران المتصاعدة من داخل أحشائه المضطرمة بالحب نحونا . قال أحدهم "إن الهتاف للمخلص وهو داخل أورشليم لم يكن لذيذ الوقوع علي أنه كصراخ القساة "أصلبه أصلبه" فبالمحبة قد جعلت مرارة الصلب حلوة".

إن محبة المسيح وشفقته كانت مضطرمة بهذا المقدار حتى أنه لم يطق ثيابه بل نزعها لأجلنا وأنطرح عرياناً علي الصليب . حب المسيح كان يجعله يدعو آلامه مشرباً وموته حماماً فكان يقول لأبن زبدى "أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا" (مت ٢٠: ٢٢) ولا يخفى أن خاصة الشراب التبريد داخلاً، وخاصة الاستحمام التبريد خارجاً، فأوجاعه الداخلية كانت له مشرباً وأوجاعه الخارجية كانت له استحماما. وذلك حب لا يمكن وصفه قال النشيد "أخرجن يا بنات صهيون و انظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه، وفى يوم فرح قلبه" (نش ٣ : ١١) فاليوم الذى نعتبره اليوم موت المسيح يعتبره هو يوم عرسه لأنه قدم فيه مهر عروسه.

فيا لعظم حبك لنا يا يسوع الذى جعلك تشتهى الموت لكى تخلصنا ، حتى أنه لما أنتهرك بطرس لكى لا تموت وقال لك حاشاك يا رب ، زجرته وقلت له "أذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦ : ٢٣) فكأنه كان يقول لبطرس "إن شوقى إلى الموت يلتهب فى داخلى فهل تريد أن تبعدنى عن الحصول عن أمانى وقد بلغتها" ولذلك نجد أن سيدنا المسيح قبل أن ينطلق بتلاميذه إلى بستان جثسيمانى يقول عنه الكتاب "ثم سبحوا وخرجوا

إلى جبل الزيتون" (مت ٢٦ : ٣٠) فقبل آلامه كان يسبح، وما كان يراها حينئذ ليس هو أوجاعه ولا صليبه بل خلاص البشر، وقد غطى سروره بخلاصهم حزنه علي آلامه .

فأى قلب قاس بهذا المقدار لا يميل لمحبة المسيح بعد أن أحبنا هكذا وغسل خطايانا بدمه ؟ ومن لا يتعلق به بشدة حتماً يتذكر أنه بسط يديه علي الصليب يقبل ويرحب ويعانق باشتياق جميع الذين يلتجئون إليه.

قال أحد الأباء "كل حب لا يكون منحدراً من الآم المخلص وعن تأمل كامل فيها وتسليم عميق بها ، إنما هو حب باطل".

إن الله يحب أبنه الوحيد حباً غير متناه، ومع ذلك سلمه لألوان العذاب المريعة. فلماذا هذه القساوة علي الابن البرىء ؟ ما ذلك إلا لأنه قدم ذاته فدية عنا ، وأبوه الحنون أرتضى بذلك . فمحبة الله لنا جعلته يقسوا علي ابنه. فلنرنم إذا قائلين "الذى لم يشفق علي ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شئ" (رو ٨ : ٣٢).

فبماذا يجب عليك أن تفعل الآن أيها الحبيب ، كم من التنهدات القلبية يجب أن تتنهد ؟ كم من الدموع يجب أن تسكب من مقلتيك إن كنت معتقداً بان هذا الذى صلب هو إلهك وخالقك ، وقد وهبك أكثر مما يهب الأب ابنه والأم أبنتها ؟ ماذا يجب عليك أن تفعل إن كنت معتقداً بأن السبب الذى ألجأه إلى شراب مرارة هذه الآلام لم يكن سوى حبه إياك وقصده خلاصك ، فمن أجل هذا أرتضى أن يأتى من السماء ويسلم نفسه للصليب .

إن الطبيعة الجامدة تفتتت لرؤية الابن الوحيد معلقاً علي الصليب لأجلى أنا الإنسان الساقط، وقلبى وحده هو الذى يبقى قاسياً لا يلين ! يا صليب المسيح يا رجاء الضعفاء ومرشد الجهلاء . يا تابوت العهد الجديد. يا سرير سليمان. يا من هو وحده معزى المحزونين وسلوى المؤمنين. امنح نطقاً لشفتى الكليلتين ودموعاً لعينى الجامدتين لأندب قلبى الذى يتأثر لموت فادى وحبيبى يسوع المسيح .

يا للأسف إن موت المسيح حباً بنا لم يؤثر فى قلوب البشر . ولنذكر هنا قصة مؤثرة لتوبيخ قساوتنا ، حدثت فى أيام حرب الروس و الشركس . قيل إنه كان للشركس رئيس أسمه ميخائيل كان معتبراً بينهم كنبى حتى أنهم كانوا يحترمونه لدرجة العبادة . فهذا وجد أن تدابيره أصبحت معلومة لدى أعدائه ولم يعرف من الذى يبلغها لهم ، فأصدر أمره إلى رجاله أنه إذا عرف الخائن فجزاؤه مائة جلدة علي لحم ظهره . ووعد بجائزة كبرى لمن يدله عليه . وبعد أيام قليلة وجد من المدهش أن مرتكب هذا الذنب الفظيع كانت هى أم الرئيس نفسه ، فحزن وصام وأعتزل قومه يومين ثم خرج عليهم يعلوه الاصفرار والنحول كأنه خيال وأمر بإحضار أمه أمام خيمته ثم كشف عن ظهرها للسياط الموجعة ووقف بجانبها والجلاد يضربها بكل قواه فما أن نزلت عليها جلدة واثنتان إلى خمس حتى نفر الدم من لحمها فتقدم أبنها إلى الجلاد وأمره أن يتوقف عن التنفيذ. ثم كشف الرئيس عن ظهره وأمر الجلاد أن يضربه هو الخمس والتسعين جلدة الباقية نيابة عن أمه وبذات الشدة التى كان يضربها بها ، ففعل حتى تمزق جلده بالسياط ، وقد نتج عن ذلك أن أتباعه أصبحوا أطوع له من بنانه وصارت أمه تحافظ علي أسراره وتطيع قوله طاعة تامة . فما بالا نرى أنفسنا غير مجبرين بقوة تضحية يسوع لأجلنا علي طاعته طاعة تامة !

إن خدمة حقيرة يخدمنا بها أحد أصحابنا تجعلنا نقابله بالشكر والامتنان فما بالنا قساة القلوب نحو الصديق الحقيقى يسوع الذى وهبنا حياته؟ فلو أن عدواً خاطر بذاته حباً بنا لقابلناه

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

بالمحبة المفرطة بدل من العداوة والجفاء. أفلا نعامل يسوع ولو بمثل هذا! فلو أنه يسكب سوى عبرة واحدة لأجل خلاصنا لوجب أن نصرف حياتنا متهللين بعواطف الامتنان له. قال القديس امبرسيوس : "إنى لمديون لك يا سيدى يسوع المسيح ليس لأنك خلقتنى، لأنك فى عمل الخليقة لم تقل إلا كلمة فكان كل شئ ، ولكن دينى عظيم لك لأنك فديتنى . إذ أن فداءك كلفك احتمال ما لا يقوى العالم كله علي احتماله".

إن الكنائس المسيحية رتبت (عيد الصليب) لكى تمثل أمام أنظارنا المسيح مصلوباً مجروحاً مطعوناً فى جنبه . ولكى نستعيد تصور تأوهاته وأناته ونلهج بفضله ونفتح عيوننا لتجرى منها ينابيع الدموع التى تبرهن علي اشتراكنا معه فى الحزن والآلام، ولكنا نرى أنفسنا بخلاف ذلك. نسمع ما نزل به من الآلام بقلب لا يتأثر . وبمقدار ما امتلأ قلبه بالشفقة علينا خلت نفوسنا من كل عاطفة تشعرنا بالميل إليه .

كلا أيها الأحباء . فنحن لم نشعر بحبه فقط بل صرنا شركاء صالبيه وقاتليه أيضا . فقد نظهر بأفواهنا محبة له ونحن فى الحقيقة أعداء . ذلك لأننا نجدد صلبه كل يوم بخطايانا. وبمعاصينا نزدرى بدمه الذى سفك عنا ونكرر سفكه دفعات. لم يكن صالبوه أكثر منا إثما و قساوة. فمنا من زاد صليبه ثقلاً بشروره ومنا من هزأ بدينه كهيرودس، ومنا من غرز فى هامته أشواكاً من الأثام . ودق فى جسده مسامير نكران الجميل . ومنا من طعنه لا بحربة واحدة بل بحراب عديدة من الأوزار المتنوعة.

فماذا نقول إلا أن الله كملنا بإحسانه ونحن كملنا جميعاً شرورنا باحتقارنا ألام مخلصنا. لقد مات ليحينا ونحن نحيا لنجدد بآثامنا آلامه وموته . لقد جاء فى شريعة موسى أنه إذا وجد قتيل فى الأرض لا يعلم من قتله ، يخرج الشيوخ والقضاة وفى أقرب مدينة إلى مكان القتيل يأخذون عجلة بقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير، وفى واد عميق لم يزرع يكسرون عنقها ويقولون "أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر" (تث ٢١ : ١-٧) فهيا أيها المسيحيون نصعد إلى الجلجثة ونصغى إلى المصلوب وهو يصيح بنا بأن فينا من قتله ومن صلبه ومن أهانه ومن طعنه. فهل نستطيع أن نغسل أيدينا ونقول أننا أبرياء!

هل يقدر ذو اللسان الشرير أن يقول إنه لم يطعنه فى جنبه بالكلمات الرديئة؟ هل يقدر محب الذات أن يصرح بأنه لم يقتله بسعيه فى ضرر الغير لأجل مصلحة نفسه؟ هل يقدر سالب ما لغيره أن يدعى بأنه لم يلطمه بيديه المذنبتين؟ و هل يقدر الساعى إلى النجاسة أن يقول بأنه لم يسمر يديه و رجليه بإثمه و خطيته؟

إن الإنسان الذى يعرف عنه بأنه أساء لمن أحسن إليه ، يفقد كل عاطفة من قلوب الجميع، ويكفى للتشنيع عليه أن يشار إليه بأنه هو الذى قابل الإحسان بالإساءة . إن أحد خطباء الرومان إذ أراد يوماً أن يبكت – فى مجلس الشورى – مجرماً قتل أمه قال له (لقد قتلت أمك وذلك يكفى لحزنك فماذا أقول لك أكثر) ويكفى أن يقال للخاطئ : أنت الذى صلبت سيدك ولا تزال تصلبه بخطاياك . أى شر أعظم من هذا تريد أن تصنع أيها الإنسان؟

إن خطايانا هى التى صلبت مخلصنا فهل نحبها بعد مشاهدتنا ما سببته له من الآلام ، ومن كان يصدق لو لم يختبر ذلك فى نفسه أن يمكن وجود أناس قساة القلوب وشرسى الطباع يعرفون بإيمان أكيد أن الخطية سبب موت إلههم عنهم ويحبون مع ذلك أن يؤوها إلى منازلهم

ويضيفونها فى قلوبهم و يرتكبونها متنعمين بها بعد أن صارت جلاداً ظالماً لمن افتداهم بدمه الكريم؟ ما قولكم فى من يخفى قاتل الملك فى بيته؟ هل مثل هذا يحب الملك؟ كلا. فالخطية هى قاتلة المسيح ومع ذلك يخفونها فى قلوبهم. تباً لهم من مبغضين لملكهم الكريم. قال أحد القديسين مخاطباً السيد المسيح "يا سيدى من ذا الذى جعلك تتحمل مثل هذه الآلام الفادحة؟ المحبة أم الجنون؟ نعم المحبة والجنون معاً. فالمحبة هى محبتك والجنون هو جنونى. فالمحبة هى التى جعلتك تسفك دمك لتخلصنى و والجنون هو الذى جعلنى أجدد صليبك بارتكابى أفظع الآثام"

أفلا تستحى يا من تستخف بمحبة الله ! إنه أهون مما تستحق أن تطرح فى جهنم . قال الرسول "فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠ : ٢٩) وقال أيضاً "إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن محروماً" (١كو١٦ :٢٢) فالمسيحى الخاطئ كافر بجميل مخلصه الذى احبه ومات لأجله . إذا كان موسى خاطب الإسرائيليين قبل التجسد قائلاً "تحب الرب إلهك من كل قلبك" فماذا يجب علي المسيحيين أن يعملوا بعد التجسد ؟ قيل إن أخين تبع كل منهما حزباً فى حرب أهلية وأتفق أن أحدهم قتل الأخر بدون علمه، ولما تحقق ذلك أوقد ناراً بجوار جثته وقال متحسراً: أخى أعف عنى لأنى قتلتك جهلاً ثم طعن نفسه بمدية وألقى ذاته فى السعير . فماذا يفعل المسيحى الذى يهين عمداً يسوع أخاه البكر .

انظروا أيها المسيحيون إلى صليب فاديكم وتأملوا مخلصكم وهو يموت ممدود اليدين منفجر الجنب مكسور القلب ملتفتاً من أعلى صليبه خافضاً عينيه فى نزاع الموت نحو كل أحد قائلاً: أيها الإنسان أنى أموت لأجلك ولو لازم أن أحتمل الموت ألف مرة لكنت أحتمله حباً بك . إنك ترى جسدى البرىء ممزقاً بالسياط مخضباً بالدماء وترانى منازعاً ومسلماً الروح غائصاً فى بحر من الأوجاع والآلام . لكن أعظم عذاب لى هو خطاياكم ومقاساتى الآلام لأجل أناس عديمى المعروف ، ناكرى الجميل والإحسان لم تصلبنى إلا خطاياكم ، فارتكابكم الخطية هو بمثابة صليب أخر أثقل وأوجع . أن موتى عنك أيها الخاطئ إنما كان لكى أخلصك فلماذا تريد أن تهلك نفسك ؟ قد ثقلت علي الآثام أفتزيد ازديادها بهلاك نفسك التى مت لأجلها ؟

قال أحد القديسين إن يسوع يشكو منا قائلاً: أيها القوم ما بالكم تهربون من خلفى تابعين الشيطان. من الذى أحسن إليكم وخلصكم أنا أم الشيطان ؟ ما سبب محبتكم له وبغضكم إياى ؟ هل كلل بإكليل الشوك أو طعن بالحربة لأجلكم ؟ تعالوا وتأملوا فى جسدى لتروا أثار عطفى عليكم ومحبتى لكم مرسومة فيه . فيا تابع الشيطان ويا مسلم زمام قيادتك إليه "أرجع إلى لأنى فديتك" (إش ٤٤ : ٢٢).

هب أن قلوبنا كانت أقسى من الصخور التى تشققت عند صليب فادينا أفيمكننا أن نقاوم هذه التوبيخات الحبية . ليت سكب عبراته السخينة واراقة دمه المسفوك يوقفان سيل خطايانا ويلقيان فى قلوبنا حباً متقداً له فنقول له مع الرسول "محبة المسيح تحصرنا" (٢كو ٥ :١٤)

فلنقل جميعاً لهذا الإله الكامل إنك قد شئت أيها الرب الإله أن تفتح جنبك ليسهل لنا الدخول فيه لنعرف عمق المحبة الكامنة فى قلبك من جهتنا ولنحتمى فيها. نعم يا رب ليس فى قلبك إلا المحبة لنا . وإن كنا ننسى كل شئ فلن ننسى صورة موتك بل صورة محبتك .

ذكر عن ثيغراش ملك الأرمن أنه لما قهره كورش ملك العجم فى الحرب وتغلب عليه أسره هو وزوجته . ولما كان كورش يعرف مقدار محبة هذه الزوجة لزوجها ثيغراش أراد يمتحن محبة هذا الزوج أيضاً فسأله ماذا تريد أن تقدم لأعتق لك زوجتك فاجبه "مملكتى ودمى" فشفق عليهما

كليهما . ولما رجع إلى مملكتهما سأل يوماً ثيغراش زوجته قائلاً "ما الذى أعجبك فى كورش ومملكته" أجابته قائلة "لم يرقنى منه شيء أصلاً ولم التفت لأمر ما بل سددت نظرى وقصرت فكرى وميلى علي من فدانى بمملكته ودمه وحياته فأخرجنى من الرق "فماذا يجب عليك إذاً يا عروس المسيح التى أفتدها بدمه، وأى شيء يروقك فى هذا العالم؟ شهوة العين ، أو شهوة الجسد ، أم تعظم المعيشة . أم يسوع المسيح وإياه مصلوباً ليخلصك من خطاياك؟

ما لى أراك تحب العالم و كل شئ فى العالم مهمل! من كان أن ينبغى أن يكون موضع حبك؟ تحب أهلك وأصدقاءك وليس فيهم من مات لأجلك ولا تبالى بمن أنقذك من الموت بموته ! قال أحدهم "كيف أتمكن أيها الرب إلهى بعدما برهنت لى عن هذه المحبة الشديدة المفرطة بأسطع البراهين وأقواها أن أحتقر حبك وأكفر به" حينما قابل أحد القديسين تضحية المخلص بأعمال البشر كان يجول فى الشوارع وعيونه تسكب الدموع ويصرخ قائلاً "إن المحبة ليست محبوبة" يعنى بذلك أن الناس يكافئون محبة الله بعداوتهم. وقيل أن كراطيس الفيلسوف إذ لطمه أحد السفهاء لطمة شديدة علي خده أسالت منه الدماء أخذ يجوب المدينة ناقشاً علي جهته العنوان التالى: "هذا ما فعله بى نيكوموس" فيسوع اليوم يجول فى المدينة ليتأمل أحوال الذين تألم ومات لأجلهم فيجدهم متهافتين علي الشر، لا يتعدون علي اسم ويجدفون عليه فى كل مناسبة ويحلفون به كذباً نظير اسمه، فيصرخ حينئذ باكياً ودموعه تنطق بلسان حاله قائلة هذا ما فعله بى الذين مت لأجلهم.

إذا كان يعقوب قد خدم سنين كثيرة حباً فى جمال راحيل . فكيف لا نكرس حياتنا فى خدمة يسوع لأجل جمال محبته العميقة . تعود رجل أن يذهب إلى المقابر ويزرع أحد القبور الأزهار فسأله أحدهم لماذا تعمل هذا أجاب قائلاً "لما أتى وقتى للذهاب إلى الحرب تعطلت عن الذهاب لأسباب قهرية فذهب ساكن هذا الضريح عوضاً عنى وقام بكل ما كان علي من الواجبات بأمانة فائقة كاملة حتى مات فى الحرب ودفن فى هذا القبر الذى أزوره دائماً و أزرع عليه الأزهار فى كل وقت ، وقد نقش عليه هذه الكلمات الذهبية (مات عنى) فإذا كان هذا عمل الذى مات عنه إنسان فخلص بموته من الموت الزمنى ، فكم ينبغى أن نعمل نحن لأجل خاطر يسوع الذى بموته عنا خلصنا من الموت الأبدى؟

توجد ثلاث صور فى أحد المعارض وتمثل موقف النفس المتدرج بازاء يسوع المصلوب . ففى الأولى يقف الإنسان أمام المسيح المصلوب متأملاً ومتسائلاً وهو لا يدرك السر الذى لأجله سمح الله بصلب المعصوم . وفى الثانية يركع أمام الصليب إذ فهم معنى كلام إشعياء القائل "تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا" وبقلب شكور يعتبر يسوع ربه وفاديه . وفى الصورة الثالثة تراه راكعاً تحت الصليب، إذ قد كرس حياته لخدمة فاديه ومخلصه.

فإذا علمت أيها المسيحى أنك تجرم جرماً عظيماً إن تحب من أحبك فعليك أن تتأسف علي ما قضيته من عمرك بعيداً عنه ، ومن ثم تقضى ما بقى من الحياة فى محبته أن داود لما سمع خبر موت ناثان حبيبه مزق ثيابه (٢صم ١ : ١١) فها قد سمعت خبر موت حبيبك يسوع. فمالى أراك لا تتأثر؟ ما لى أرى عيونك جامدة لا تختلج بالدموع؟ حقاً إنى يا مخلصى أعمى إذ لا انظر حبك العظيم هذا، فافتح عينى لأراك كما فتحت عينى ذلك اللص الذى صلب عن يمينك، فأطلب حينئذ خلاصى.

أعلم أيها المسيحى أن ما تطلبه المحبة منا ليس كما طلبته منه . إنها لا تطلب منا أن نكلل رؤوسنا بإكليل الشوك أو ندق فى أيدينا المسامير بل أن نطعن أميالنا وشهواتنا بحراب الصلاة ،

وأن ندق فى لذاتنا مسامير كلمة الله حتى نستطيع أن نقدم ما نقدر عليه من المكافأة لمحبة الله لا بالقول بل بالفعل "لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" (١يو ٣ : ١٨)

يا يسوع أعطنا أن نحبك من كل قلوبنا ومن كل نفوسنا ومن كل قوانا. لا شيء فى السماء ولا فى الأرض لنا غيرك. أكاد أنسحق كلما أتذكر أن خطاياى هى التى أخرجتك من قلبى وفصلتنى عنك . أنت نصيبى وراحتي ، أنت عزائى وحياتى : أنت هو الذى أحببتنى فأعطنى أن أصرخ مع الرسول قائلاً "من يفصلنى عن محبة المسيح ؟" ولأنى أعرف أن الخطية هى التى تبعدنى عنك فبحق دمك الكريم أعنى عليها . املأنى من نعمتك لتقف معى حينما أحارب حتى الدم ضدها. وإذا كنت معى فلابد أن أنتصر ولابد أن أغلبها وأقطع علاقتى بها. ها القلب الذى افتديته مهيأ لسكناك. ها هو معد هيكلاً لروحك القدوس .

لقد ذاب قلبك يا مخلصى ولم يذب من نار حبك ، فأعطنى يا رب أن أتناول من نار حبك المتقدة فى قلبك الطاهر جذوة أضعها فى قلبى لتمتلئ نفسى من حبك ، فيحرق لهيب حبى لك الأفكار الدنسة. محبة المال . محبة العالم. تعظم المعيشة.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الفصل الخامس عشر
في التأمل بالصليب

"لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (١كو ٢:٢)

إن أول ما يبدو على المؤمن الواقف إزاء الصليب هو التعجب الزائد من فرط محبة الله. فمن يتعمق في فهم أسرار آلام المخلص يدرك أن الله قد أتم على الصليب أمراً يسوق إلى الاستغراب و الإنذهال: نعم يا مخلصي الأمين، يتوه العقل عند التفكير في آلامك. ومن يقدر على وصف ما تكبدته على الصليب؟ فإني أراك والمسامير الحديدية تسند جسدك و أتأمل في جراح يديك ورجليك التي كانت تزيدك وجعاً كلما ازدادت اتساعاً، وأتصور أعضاء جسدك وجميع حواسك تذوب من نيران الآلام حتى كأن كلا منها كان حاملاً صليباً.

كيف لا أتعجب وعيناك – المكشوف أمامهما كل شئ - (عب ٤ : ١٣) تتألمان من رؤية الدم الجاري من جروحك؟ كيف لا أنذهل وأنا أشاهد الأذنين اللتين تسمعان أنين المنكوبين ينالهما الوجع من الشتائم التي رشقوك بها. كيف لا استغرب واللسان الذي نطق فخلق العالم يحترق من العطش ويتشنج من الخل والمرارة؟ كيف لا أتحير وأنا أرى الأشواك نافذة في رأسك البهي الذي تسجد له الملائكة والبشر؟ والمسامير قد ثقبت يديك القادرتين اللتين أوجدت بهما السماء والأرض، ومزقت رجليك الطاهرتين اللتين لم تعرفا راحة عندما كنت على الأرض تسعى لخلاص العالم.

فيا يسوع: أي مسيحي يعلمه الإيمان أنك مت على الصليب حباً به ولا يحبك من عمق القلب؟ نعم يا رب، إني انسحق الآن تحت صليبك متوسلاً إليك أن تغفر لي ذنبي عن الزمان الذي صرفته بدون أن أقدر حبك لي. إني أخاف الموت كلما أتصور خطاياي، غير أني حينما أرى الدم الطاهر يسيل من جراحاتك المقدسة تنتعش نفسي ويثبت رجائي في الحصول على نعمة الخلاص، بل أصرخ قائلاً: "إذ لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح".

نعم يا سيدي، أقدم لك ما بقى من حياتي، واستودع بين يديك اللتين سمرتا على الصليب قلبي كله بكافة مشتهياتي لتغسله بدمك الكريم وتقدسه لك لتخرج منه ينابيع الأشواق المقدسة.

قال أحد القديسين "يجب على من أراد أن يثبت في حب سيدنا يسوع المسيح أن يتصور المخلص وهو معلقاً على الصليب مائتاً من أجل خلاصه الأبدي". إن النفس الشغوفة بالتأمل في الصليب لا يمكن أن يجربها الشيطان بالقنوط ليقطع رجاءها من الخلاص، لأن لها ينبوع تعزية لا ينقطع جريانه من دم ابن الله فيفتح أمامها باب الأمل واسعاً، وإذا عرض الشيطان أمامها مجد العالم ولذاته، هبت عليها نعمة سماوية من الصليب تطفئ وتبدد كل ميل للعالم، وتجعل حياة هذه النفس حياة الازدراء بكل ما في العالم، والرغبة في نوال مجد السماء.

أيتها النفس المتعلقة بالصليب ستأتي عليك ساعة هي ساعة الموت، فيها يهجم عليك الشيطان عدوك الخبيث ليقطع رجاءك من الخلاص مصوراً أمام عينيك كل الخطايا التي ارتكبتها مدة حياتك على الأرض. فلا تجزعي بل ألقي النظر على يسوع المصلوب المائت لأجلك واهتفي بتمام الثقة والرجاء قائلة: اذكرنى يا مخلصي وفاديَّ الإلهي فإني ثمرة آلامك وموتك على الصليب.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

قال السيد المسيح "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع" (يو ١٢ : ٣٢) وقصد بذلك أن موته على الصليب هو الذي يجذب إليه القلوب، والرسول بولس يقول "ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً" (١كو ١: ٢٣). فكم من أناس كانت نظرة واحدة منهم للصليب كافية لأن تجعلهم يتركون كل شئ ويتبعونه. يتركون العالم وأمجاده والخطية ولذاتها ويشعرون بسعادة واحدة لا تتم لهم إلا في يسوع المصلوب.

قال القديس أوغسطينوس: "إن من ينظر إلى يسوع مصلوباً ويضع عليه اتكاله تبرأ نفسه العليلة من جروح الخطية التي ارتكبتها. فلتكن صورة يسوع المصلوب أمام عينيك في كل وقت، وقل مع الرسول "لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلى يسوع المسيح وإياه مصلوباً".

تأملي يا نفسي فى ذبيحة ابن الله فإنها قد غسلت خطايانا كما يشهد روح الحق قائلاً "غسلنا من خطايانا بدمه" (رؤ ١ : ٥) فمهما كان ثقل خطايانا فإننا إذا نظرنا إلى تلك الذبيحة المقدسة نجد أحمال ذنوبنا وقد انحلت عراها وهوت ساقطة عن أعناقنا وأصبحنا في راحة تامة.

تقدمي يا نفسي إلى عرش الله بقلب صادق مملوء من ثقة الإيمان. أليست الطريق معدة ومقدسة بالدم، فاسلكيها إذن بشجاعة. ألم يرتفع ستار العداوة، فأدخلي إذن بدون خوف ولا وجل. ألم يفتح لك الباب إلى عرش النعمة، فاصعدي إليه حالاً بدون تردد أو ريب، بل بعزم وسرعة وثقة ثابتة. أليس الذي فداكِ هو الذي يجلس على هذا العرش، إذن آمني به ولا تحزنيه بقلة ثقتك فمهما كنت خاطئة فهو مستعد أن يقبلك قبولاً تاماً ويغفر جميع آثامك ويطهرك من كل خطاياك.

نعم اذهبي إليه أيتها النفس الخاطئة، وتلقي قطرات الدم السائلة من الصليب واغسلي بها قلبك ليصير نقياً، ومن ثم تستحقين أن تعايني الله (مت ٥ : ٨). إن الابن الحبيب لا يرفض أحداً يقبل إليه بمحبة، فاطرحي يا نفسي خطيتك أمامه كما طرحتها المرأة الخاطئة فهو يرفعها عنك ويعيد إليك طهارتك وسعادتك وهناءك.

لماذا تطيلين التطلع إلى الصليب يا نفسي، ذلك لأنه تفسير صفات الله من حيث كونه إله كل نعمة. وكيف يمكننا أن نعلل عمل الله العظيم على الصليب إلا أنه عمل الرحمة والمحبة؟ نعم يا نفسي لن يمكنك حال تفرسك بالصليب إلا أن تصيحين قائلة "الله محبة". فها الإله المحب هو الذي يدعوك، وبمحبته التي جعلته أن يبذل ابنه لأجلك يقبلك راضياً مسروراً.

فيا يسوع حبيبي، بارتفاعك على الصليب جعلتنا غنيمتك ورددتنا إليك فاربطنا بصليبك هذا بقوة حبك واجعلنا أن نثبت في الآلام والأحزان معتنقينك اعتناق الولد صدر أمه. نريد أن نفقد كل شئ لنربحك، أنت الجوهرة الوحيدة. أخلنا يا رب من كل شئ إلا من نعمة حبك المقدس.

الفصل السادس عشر
فوائد التأمل في آلام المسيح

"أما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح". (غل٦:١٤)

قال القديس أوغسطينوس: "لا يوجد شيء نافع مثل التأمل كل يوم في ما احتمله يسوع لأجلنا على الصليب. لا يوجد دواء يؤثر في شفاء جراحات أنفسنا مثل التأمل المتواصل في آلام المسيح." فإن التأمل في آلام مخلصنا يساعدنا على مقاومة التجارب ويعطينا روح الحرارة في خدمته. قال أحد الآباء القديسين: "إن مَنْ يُرَوِّض ذاته بالعبادة في حياة المسيح وآلامه يجد فيها كل ما يحتاجه ولا يحتاج شيئاً خارجاً عنه".

إن المحبة تجعلنا نطيل الفكر في مَنْ نُحِبه، والحبيب يُسَر إذا عرف أن حبيبه يفكر فيه كثيراً. ولهذا إذا كان لأم ابن متغرب فإنها تفرح إذا سمعت أنه يذكرها دائماً، أكثر من فرحها بالهدايا الجزيلة التي يرسلها إليها. هكذا كان سرور الرب يسوع أن يعرف عنا أننا دائما نتأمل في فضله العظيم الذي أظهره لنا بموته عنا على الصليب أكثر من سرور بقيامنا بأية واجبات أخرى.

إن أحشويرش الملك إذ أرق ليلة طلب أن يقرأ أخبار أيامه، فوجد بينها خبر المعروف الذي صنعه معه مردخاى اليهودي بسعيه في إنقاذه من المؤامرة التي كانت تُدَبَّر لموته، فالمطلوب من المسيحيين أن يسهروا مرددين الجميل العظيم الذي عمله معهم الرب يسوع المسيح بإنقاذه إياهم من الموت الأبدي بموته الكريم عنهم.

فالقديسون الذين سبقونا قضوا حياتهم يتأملوا في آلام المسيح ووصلوا أخيراً إلى ميناء الخلاص بسلام. سل الذين قدموا أنفسهم للموت، ما الذي شجعهم على ذلك؟ يقولون: جراحات المُخَلِّص الثمينة. سل الذين صبروا في آلامهم وتحملوا العذاب بثبات، ما الذى قوّاهم على ذلك؟ يقولون إنه طول أناة يسوع على مقاساة أوجاع الصليب. سل الذين انتصروا على ذلك يجيبونك: لِكَثرة تأمُّلنا في صليب المسيح. قال القديس يوحنا ذهبي الفم لما أخذ يصف مناقب التأمل في صليب المسيح هتف قائلاً: "إن التأمل في الصليب أفضل من التزين بربوات تيجان؛ لأن التاج يُزَيِّن الرأس، أما التأمُّل بالصليب فإنه يقي الذهن، بل هو لواء الانتصار على الشيطان ودواء لشفاء سقام النفوس، وقوة للتغلب على جميع الأعداء المحاربين لنا".

قال أحد القديسين: "حقاً إن الصليب كتاب سري مكتوب بدم ابن الله نفسه لأنه به عرف الله وصفاته الكاملة وأخصها المحبة معرفة تامة. بل يجب أن نسمي الصليب مكتبه، لأن منه نتعلم علم الحياة الدائمة، ونقرأ عن سر الخلاص المجيد، وندرك كيف أن الله أحبنا وبذل دم ابنه لِيُصالِحنا معه ونحن أعداء. أيها الخاطىء الحبيب، تطلَّع إليه ليسقط حِمْل الخطية من على عاتقك .. أيها المتضايق انظر إليه تجد الفرج الشامل. أيها الحزين تأمل فيه فتفوز بالعزاء الكامل.

قال أحد الأفاضل: "تتغير حياتي من نزهة محددة إلى جهاد عندما أزور الصليب والقبر" .. فمَنْ يتأمل في صليب المسيح وهو يعلم أنه تألم لأجل خطايا العالم، ثم يبقى بعد ذلك جامد الإحساس لا يبالى به، لا يختلف أبداً عن الجنود الذين إقتسموا ثيابه ثم جلسوا ينظرون إليه بدون مبالاة. لقد أكمل يسوع ما كان عليه أن يعمله على الأرض، فهل تعمل أنت ما عليك؟ لقد نُقِشَت الكلمات الآتية تحت صورة صليب في أحد أديرة الشرق "عملت كل هذا لأجلك.. ماذا عملت أنت لأجلى؟!".

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

وللتأمل في الصليب نتائج حسنة للغاية. ولذلك طلب الرسول أن نذكر آلام مخلصنا ونتحدث بها بقوله: "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ". (١كو١١:٢٦)

ومن نتائج التأمل بالصليب:

١- الندامة على الخطية .. لا يوجد شيء يرينا تفاقم شر الخطية مثل آلام المسيح. قال أحد القديسين: "تأمل يا هذا ماذا كانت الجراحات التي جُرح بها يسوع. اعلم أنه لا أبدية عذاب جهنم الواجبة للخطية ولا شئ آخر يوضح لنا ثقل الخطية مثل التأمل في أن هذا الثقل افتقر إلى هذا الأمر، وهو أن الله يتجسد ليؤدي الفداء عنها."

فالمسيح تألم بسبب الخطية وهو الذي يظهر لنا شناعتها. قال أحد الأفاضل: "لو أن الله يزج كافة الناس في جهنم لأجل الخطية لما وفى حتى عدله كم وفاه بتجسده وموته" فتأملنا إذاً في صليب المسيح يقودنا بقوة إلى الندامة على الخطية والانسحاق عليها.

قال الكتاب: "سينظرون إلى الذي طعنوه" (يو ١٩:٣٧). نعم، قد طعنَّا المسيح بحِراب خطايانا، فما بقى علينا إلا أن نطعن قلوبنا بحراب الانسحاق والانكسار، وتخرج أقذار الإثم بمبضع الاعتراف بها.

قال أحد القديسين: "كنت ألعب متنزهاً في الشوارع حيث كان يقضى عليَّ بالموت وفي ديوان الملك ولم أدر بذلك. فلما سمع ابن الملك الوحيد بهذا الأمر نزع الإكليل عن رأسه وخلع عنه ثوبه الملكي وخرج خافيا لابساً ثوباً حقيراً نادباً حظه لأنه قضى على عبده بالموت فلما مرّ بغتة ورأيته في هذا الزى الموجع انذهلت متحيراً وسألت عن السبب فقيل لى إنه متوجه إلى الموت لأجلي! فماذا كان يجب عليَّ فِعله في هذا الوقت؟! وأي إنسان يكون عديم الحِس بالكلية ذا طبع وحشي بهذا المقدار يمكنه الاستمرار في اللعب ولا يترك كل شيء ليمضى مُرافِقاً ابن الملك باكياً معه؟!"

أيها القلب القاسي أصرخ نحو سيدك قائلاً: "كيف أحب الخطية يا مخلصي وهى التي القتك في أعظم الآلام وأشد الأوجاع. أنا الذي كنت أستحق هذا الصليب وهذه الإهانات التي احتملتها لأجلي يا يسوع. أيتها الخطية إني أرى ذلك وأحتقرك لأنك علقتِ مخلصي يسوع على خشبة الصليب. أيها العالم لم تعد قادراً أن تطغيني لأن محبتي لك وتعلقي بك قد جعلت مخلصي يتألم.

إن تأملنا في آلام المسيح يجعلنا نحزن على خطايانا فيغفرها الله لنا ويحفظنا من السقوط فيها. لأنه كلما انسحقنا عليها رفعها الله عنّا وبرَّرَنا منها. ثم أن ندامتنا على ارتكاب الخطية تحمينا من العودة إليها مرة أخرى.

٢- معرفة فضل الله وشكره عليه .. مَنْ يتأمل في موت المسيح ويصمت عن الشكر إزاء فضل يسوع الذي غمرنا به؟! قال المخلص لتلاميذه بعدما غسل أرجلهم: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟" (يو١٣:١٢) وهو اليوم يقول لكل ناكر لجميله: "هل تفهم ما صنعت بك؟ لو علمت يا عديم الشكر ما عملت بك لكَرَّست حياتك لشكري بلا انقطاع . . لو رفعت نظرك إلى الصليب وعلمت إنى وأنا الكلمة صرت جسداً ومت لأجلك لما ترددت في أن تعطيني قلبك كله وتذوب في محبتي.

قال القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن من صفات العبد الصالح أن يعتبر نِعَم سيده العامة كأنها له وحده، وأنه وحده المديون لها والملتزم بأداء الجميل عنها. "هكذا كان يقول الرسول بولس: "الذي أحبني وأسلَم نفسه لأجلي." (غل٢:٢٠) .. فهكذا ينبغي أن نقول نحن حيث أن كل واحد منا يستفيد من موت المسيح كأن المسيح قد مات من أجله وحده، وكما أن نور الشمس ينير بمقدار ما كنت استنير به لو لم ينر غيري هكذا تجسد ابن الله وصلبه وموته فإنه يفيدني كأنه قد صار من أجلي وحدي."

لنتأمل هكذا في آلام مخلصنا لنزداد معرفة بفضله وشكراً لجميله وهو يطلب منا ذلك لا لحاجة إلى معرفتنا لمعروفه بل لنكون أهلاً كلما شكرنا إلى قبول نعم جديدة. قال أحد القديسين: "إن الكفر بالمعروف ونسيان النعم التي قبلناها من الله هو بمثابة ريح ينشف نبع الرحمة الإلهية ويصد مجرى النعم السماوية."

إن الرجل الذي شفاه المخلص من جنونه قال له: "ارجع إلى بيتك وحَدِّث بكم صنع الله بك." (لو ٨:٣٩) .. فلو صمت ذلك الإنسان ولم يذع فضل سيده لاعتبرناه كافراً بالجميل ناكراً للإحسان. ولكن للأسف فإننا على هذه الحالة عينها ولا نلوم أنفسنا، فهل نشعر إننا نحس بفضل مخلصنا وإننا نشكره بلا إنقطاع ونخبر بفضله كل حين؟! كلا.. كلا .. فإننا لا نشكره لأنه فدانا بل نتذمر عليه لأنه لم يعطنا غنى جزيلاً! فلا يهمنا أنه سعى ليخلصنا من الهلاك الأبدي، بل همنا كله محصور في الحصول على مجد العالم. وإذا جلسنا نترنم فليس بفضله، بل بملذات الحياة وأمجادها ومشتهياتها، إذاً فنحن نذيع فضل العالم لا فضل يسوع.

قال أحد الأتقياء: "يا يسوع إلهي.. كيف احتملت أن تُصْلَب عن أناس منافقين عديمي الشكر مثلنا؟! سامحني إذا تجاسرت عليك هكذا لأن غيرة مجدك ألجأني إلى هذا الكلام .. ماذا تؤمل من البشر أليس أن يشكرون على إحسانك؟ ها أنك تراهم يفضلون عليك هوى من أهواء نفوسهم الفاسدة، أو ربحاً يسيراً من حطام الدنيا، أو كرامة قليلة من كرامات العالم الفارغة الباطلة. لقد باعوك يا سيدي قديماً بثلاثين من الفضة، وها هم اليوم يبيعونك بثمن أقل من هذا بكثير. إنهم يحلفون بإسمك باطلاً لأجل ربح قليل.

٣- تقوية الرجاء: فإن التأمل في آلام المسيح يبعث على إنعاش إيماننا وتقوية رجائنا، ويحملنا على الاتكال عليه اتكالاً كلياً. فكل راغِب في خلاص نفسه يجد في موت ابن الله تشجيعاً على ذلك، بل يجد أن الله نفسه يريد خلاص الإنسان.

قال الرسول بولس" "لأنه إن كُنّا ونحنُ أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥:١٠) .. فإذا كان الله قد نظر إلينا بعين الرحمة ونحن أعداء له في القول والفعل والفكر، فكيف لا يحب خلاصنا بعد أن صالحنا بدم ابنه؟

الذى أحبنا ونحن في حال الدنس بالخطية كيف لا يحبنا الآن وقد نقّانا بالدم؟! إن كان يفتش علينا ونحن نهرب أمامه، كيف يهملنا بعد أن أدخلنا إلى بيته؟ فياله من رجاء وطيد أكده الآب "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ" (رو٨:٣٢).

فلا تخشى أن تتقدم إلى الله خوفاً من خطاياك الكثيرة، لأنه لو كان قاسياً كما تتصور ويرفض قبولك لِعِظَم شَرّك لما أبقاك في الوجود للآن، بل كنت انحدرت من زمن طويل إلى العذاب، فرحمته التي سلمت في ابنه لأجلك تقبلك إذا رجعت إليه كقوله: "هل مسرةً أُسَر بموت الشرير

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

يقول السيد الرب. إلا برجوعه عن طرقه فيحيا" (حز١٨:٢٣). فاتكل على صليب المسيح وأقبل إليه وأسند رأسك على صدره الحنون وقل يا مَنْ افتديتنى بدم ابنك، إني آتٍ إليكَ الآن واثقاً برحمتك كلما أرى صليب ابنك الوحيد فاقبلنى إليك يا سيدى قبولاً كاملاً. فحينئذٍ تسمع الصوت: "مَنْ يُقْبِل إليَّ لا أُخْرِجهُ خارجاً" (يو٦:٣٧) .. بل تراه يقول لك: لا أرفض أحداً ولا أُخيِّب رجاء من يرى الصليب فيثق بالخلاص الذى تم به.

٤- الإقتداء بالمسيح: قال القديس أوغسطينوس: "إن الصليب لم يكن للمسيح فراشاً فقط حيث أنه مات عليه، بل كان له منبراً يُعَلِّمنا من فوقه ما ينبغى لنا أن نفعله مقتدين به". ما أكثر تابعى يسوع طمعاً في ملكوته وما أقل الراغبين في حَمْل الصليب. ما أكثر مُحِبي التعزية وما أقل الصابرين على الشِّدة. كثيرون يتبعون يسوع في زمن السلام وقليلون هم الذين يتبعونه في وقت الشدة .. إلى الجلجثة.

إن مجد يسوع قد ظهر بعد حَمْل الصليب، وهكذا الوعد لكل حاملي الصليب، فاتبع يسوع حاملاً الآلام لأنك إن مت معه فستحيا أيضاً معه. لا طريق للسماء إلا طريق الصليب، ولا يمكنك أن تستعفي منه يا مَنْ ترغب بلوغ السماء. إن حملت الصليب عن طيب خاطِر حملك هو وسار بك إلى الغاية المُبتغاة. ما أعظم المجد المدخر للذين يحتملون الآلام بصبر لأجل اسم يسوع. لقد كانت السماء منفصلة عن الأرض، ولكن الصليب قد جمع بينهما. فكل مَنْ يصعد إلى السماء لا يكون ذلك إلا بالصليب. قال أحدهم: "إن دمعة واحدة تذرفها عينك أمام المصلوب لهي أشهى وأطيب على القلب من جميع لذات هذه الدنيا."

فيا أيها المؤمن هيا اتبع مخلصك واسع وراءه حامِلاً الصليب واسمعه يناديك: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بي" (يو١٤:٦). إن يسوع وحده هو الطريق الأمين لملكوت السموات.

وقد ذكر لنا القديس توما الكمبيسي الحديث الآتى بين المؤمن ومخلصه:

قال المؤمن:

ربى يسوع: بما أن طريقك ضيق ومزدرى عند العالم، فهب لى أن أقتدى بك في احتقار العالم، لأنه ليس عبدٌ أعظم من سيده (يو١٣:١٦) ولا تلميذ أفضل من معلمه (مت١٠:٢٤). ليتأمل عبدك في سيرتك لأن فيها خلاصي والقداسة الحقيقية. فكل ما أطالعه خارجاً عنها لا يبهجني ولا يَلذ لي بالتمام.

المخلص: حيث إنك عرفت وطالعت كل هذا، فطوبى لك إذا عملت به (يو١٣:١٧). مَنْ كانت عنده وصاياي ويحفظها فهو الذى يُحبنى وأنا أحبه وأُظْهر له ذاتي (يو١٤:٢١) وأُجْلِسهُ معي في ملكوت أبي.

المؤمن: ربى يسوع ليكن.. ليَكُن لي حسب قولك ووعدك. ليتنى أُوَهَّل لِنواله. إنى قد قبلت الصليب من يدك. إنى أحمله وسأحمله حتى الموت كما أمرتنى. لاشك أن حياة الإنسان الصالح هى صليب لكنها صليب يقود إلى السماء. ها أننا قد ابتدأنا فلا يسوغ لنا أن نرجع إلى الوراء ولا أن نترك الطريق الذي قد انتهجناه."

هيا أيها الاخوة.. لِنَسِر معاً، فإن يسوع سائرٌ معنا. إننا قد قبلنا هذا الصليب لأجل يسوع، فلنثبت على الصليب من أجل يسوع. وحيث أنه قائدنا ومخلصنا فيكون هو أيضاً ناصِرنا، هوذا ملكنا يسير أمامنا، فهو يُحارب عنّا .. لِنَتبعه بجرأة دون أن يخشى أحد منّا الأهوال. لنكن مستعدين لأن نموت بشجاعة في ساحة القتال ولا نبقى على مجدنا وصمة بهروبنا من الصليب.

٥- إن أهم ما يُعَلّمنا إيّاه الصليب أيضاً هو "التواضع": تأمَّل فيه وهو إله متجسد إتضع إلى هذا الحد الذى صار يحتمل فيه أشنع الإهانات وخذ درساً يُمَكّنك مِن نَبْذ الكبرياء ويُصَيِّرَك مستعِداً لقبول كل هوان يصلك من البشر. لأنه لكى يعلمنا سلوك سبيل التواضع، سَلَكَ هو فيه قبلنا بجلاله. ولكي يُبَيِّنَ لنا نحن البشر الأدنياء حُسن الاتصاف به اتصف به وهو العظيم المُهاب. إن القائد إذا أراد أن يشجع جنوده على القتال، يَمسك بيده سيفاً ويقاتل أمامهم كواحد منهم. وهكذا المخلص لكي يرغبنا في التواضع ويجعلنا نرذل الكبرياء وضع نفسه في أقل درجة وهو القائل لتلاميذه "لأن مَنْ هو أكبر؟ الذي يتَّكئ أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكئ، ولكن أنا بينكم كالذى يخدم." (لو٢٢:٢٧). وهو القائل أيضاً: "بل مَنْ أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. إن ابن الإنسان لم يأتِ لِيُخْدَم بل لِيَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مت٢٠:٢٦-٢٨). لما سُئِل القديس أوغسطينوس: "ما هو أول شئ يجب على المسيحي أن يتعلمه؟ قال: "التواضع". وما هو الثانى. قال: "التواضع". وما هو الثالث، قال: "التواضع". وهكذا لبث يقول "التواضع".

٦- تأمل أيضاً في صبر المسيح على آلامه: عَبَرَ الضيقات قبلنا وقبلها صابراً واحتملها شاكراً حتى لا نضجر نحن منها. قال الرسول بولس "فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه هذه لئلا تَكِلُّوا وتخوروا في نفوسكم" (عب١٢:٣). وقال الرسول بطرس: "لأنه أي مجد هو إن كُنتم تُلْطمون مُخطِئين فتصبرون؟! بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضلٌ عند الله لأنكم لهذا دُعيتُم. فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مِثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر. الذي إذ شُتِمَ لم يَكُنْ يَشْتِم عِوضَاً، وإذا تألَّم لم يكن يهدد بل كان يسلم لِمَنْ يقضي بعَدْل" (١بط٢:٢٠-٢٣).

وحيث قد علمنا عِظم فوائد التأمُّل في الصليب فلنطل التفرُّس ونتلقى الأوامر الإلهية عنه ونسير بموجبها، ونصرخ جميعاً قائلين: "يا صليب المخلص المجيد إليك نرفع عيوننا كما ترفع الأمة عينيها إلى سيدتها، فاكشف عن أعيننا يا رب لِنرى عجائب من صليبك.

ليكن روحك معنا حين نتطلع إلى الصليب. ليرسم أمام عيوننا ما يطلبه منا. قوّنا يا رب بنعمتك لنعيش ناظرين للصليب إذ جاءت الرحيل نشخص إليه متكلين عليه.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

الفصل السابع عشر
في لزوم موتنا مع المسيح وحياتنا له

"فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه" (رو ٦ : ٨)

"في آدم يموت الجميع" (١كو ١٥ : ٢٢) وآدم هو مثال الآتي "المسيح" (رو ٥ : ١٤) ومعنى ذلك بلا شك هو أننا نشترك في موت المسيح ونحن المؤمنين قد متنا مع المسيح لأننا "دفنا معه بالمعمودية للموت" (رو ٦ : ٤) وأصبحنا بعد ذلك منفصلين عن الخطية كما ينفصل الميت عن الأحياء . فاتحاد المؤمن بالمسيح بواسطة المعمودية بلغ من حد التمام أنه لا يقتصر على أن يموت المؤمن معه للخطية بل يصير بالنظر إليها كالمدفون في قبره أي لا تبقى بينه وبين الخطية أدنى علاقة من جهة ممارستها أو سلطتها أو اللذة بها. فالدفن مع المسيح يحقق انفصال المؤمن عن الخطية دائماً لأن الدفن يثبت أن الإنسان مات حقيقة: فقوله "دفنا معه" أي انفصلنا عن العالم باعتبار أن يسوع هو نصيبنا كما انفصل المسيح عن العالم المنظور وهو في قبره.

فلا يكفي إذاً أن نقدر قيمة آلام مخلصنا ونتأثر من اجلها فقد يمكننا أن نتأثر عند سماعنا خبر موته ومع ذلك لا نعرف شيئاً عن فاعلية دمه وقوته . إن موت المسيح حقيقة عظمى ولكننا لا ننتفع منه بشيء إلا لما يدخلنا الإيمان في شركة معه ونعرف شركة آلامه معرفة شخصية . ومعنى موت المسيح عني هو انه لما مات هو مت أنا أيضا ، والآن وقد صرت في نظر الله كأنه قد نفذ في حكم الموت لأجل خطاياي واعتبرت ميتاً من جهة الخطية .

وكيف نموت عن الخطية ؟ بتركها . بعدم التعلق بها . بإهمال التفكير فيها . بعدم النظر إليها برفض سماع صوتها . بإهمال التكلم عنها . بإنكارنا ذواتنا بتسليم نفوسنا للمسيح تسليماً كاملاً . بخضوعنا له خضوعاً تاماً . لأنه إن سلمنا كل حواسنا للمسيح إلا حاسة واحدة فلسنا بمائتين عن الخطية . وإن أغلقنا دونها كل الأبواب إلا باب النظر مثلاً فنحن لم نمت عنها إذاً .

جاء في أساطير الأقدمين أن إحدى الأمهات تمنت أن تجعل أبنها خالداً فغطته في نهر استيكس وفازت بمرامها غير أنها كانت قابضة بيديها على عقبيه ولذلك لم يبتلا بالماء فكان قابلين للجروح وسريعى الانثلام فجرح جروحاً مميتة ، فلو أن دفن هذا الابن في نهر استيكس حسب زعمهم كان تاما وأن عقبيه كانا تحت الماء لما أصيب بالجروح.

هذه الأسطورة تنبهنا إلى لزوم الدفن الكامل مع المسيح فلا ينبغي أن يبقى جزء صغيرة منا غير خاضع له لأن الشيطان عندما يرى شخصاً يقبل المسيح مخلصاً له يبذل قصارى جهده ليضع يده ولو على جزء صغير منه . وهو يريد أن تكون له ولو سيادة يسيرة علينا حتى يعجل سقوطنا لأنه يعلم أنه إذا استطاع منع الدفن الكامل معه فأنه يعطل الموت التام عن الخطية . فالمؤمن الحقيقي يحسب ذاته ميتا أمام كافة مطالب الخطية . ليس للخطية قوة على الميت لأنها لو زينت بأحسن ما يفتن ويسبي لما قدرت على تحريكه . إن الدموع والابتسامات والأنغام لا تلقى جواباً من تلك الجثة الباردة التي لا تجيب مطلقاً حتى تسمع صوت أبن الله . وهذا هو مركزنا بالنسبة للخطية . إن الله ينظر إلينا كأننا صلبنا مع المسيح ومتنا معه كقول الرسول "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" و "الذين به قد صلب العالم لي وأنا للعالم" (غلا ٥ : ٢٤، ٦ : ١٤) . . فالعالم صلب للمؤمن أي انه كان قبلا متمسكاً به ولكن لما آمن بالمسيح مصلوبا صار العالم كمصلوب له وميت عنه ولا قوة له عليه ولا جمال له في عينه .

فالفتاة الجميلة التي كانت تجذب القلوب بجمالها تفقد قوة الجاذبية بعد موتها ، بل تصير مكروهة إذ يتحول جمالها إلى شناعة . فالمؤمن قبل إيمانه كان يرى له العالم جميلاً ولكنه بعد الإيمان يراه كجثة ميت قد تشوهت بالفناء .

والمؤمن أيضا يصلب للعالم . المصلوب أو الميت يفقد كل حاسة . فمهما كان العالم جميلاً في نظر الحي فإنه لا يظهر كذلك في نظر الميت فالعالم بكل شهواته غير منظور للمؤمن ولا يشعر له بوجود لأنه مات عنه والميت لا يشعر بأي شئ حوله ، كقول الرسول أيضاً "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية ... إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضائكم آلات بر لله" (رو ٦ : ٦، ٧، ١٢، ١٣).

والمؤمن لا يموت عن الخطية فقط بل يحيا للب ، فالمسيح الذي مات عن خطايانا قام لأجل تبريرنا (رو ٤ : ٢٥) .. فأنا الخاطئ الذي صلبت على الجلجثة لما أطرح نفسي فوق ذلك الصليب وأحسب نفسي ميتاً فحينئذ تدخل في حياة المسيح المقام فأصير به حياً للبر، وبه أقوى على السير في الحياة الجديدة .. "صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو ٥ : ١٠). "حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك أيضاً بقيامته" (رو ٦ : ٤، ٥) فكما أن المسيح قام وعاش عيشة جديدة عن التى قبلها كذلك يجب علينا أن نقوم نحن روحياً ونحيا حياة جديدة مختلفة عن الحياة الأولى العتيقة المستعبدة لأهواء الجسد.

يقول الرسول "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلا ٢ : ٢٠) .. فموتي مع المسيح من جهة لا يمنع حياتي من جهة أخرى لأن الذي أموت عنه غير الذي أحيا ل . فالموت عن الخطية. والحياة للبر "كذلك أيضا احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦ : ١١) "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (ابط ٢ : ٢٤) .

إن الموت لم يستطع أن يمسك المسيح ولا يقدر أن يمسكنا نحن إذا كنا في المسيح. وماذا بعد الموت والدفن ؟!.. القيامة "أنا الحي وكنت ميتاً" (رؤ ١ : ١٨) فمتى دفنا مع المسيح لا تغفر لنا خطايانا فقط بل تحل علينا قوة الله "حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات" (أف ١ : ١٩، ٢٠)

وبهذه القوة نستطيع كل شئ في المسيح الذي يقوينا (في ٤ : ١٢) نستطيع أن نرفض العالم وأن نسلك في جدة الحياة. قال أحدهم: "إني أريد أن أموت فأحيا. أموت عن كل حب أرضي زائل فأحيا لحب يسوع المسيح الأبدي" .

فلا يتفق إذاً أن يسمي الإنسان نفسه مسيحياً ثم يعيش في الخطية "فإن من تألم في الجسد كف عن الخطية" (١بط ٤ : ١) .. أي أن من مات عن الخطية بموت المسيح يجب أن يحيا حياة القداسة بدليل قول الرسول "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها" (رو ٦ : ٢) .. وقوله أيضاً "إذاً إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون في العالم" (كو ٢ : ٢٠).

فعلى الذي يريد أن يحيا الإيمان أن يسمع قول الرسول "أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور و تتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤ : ٢٢– ٢٤) .. فأهل العالم يرون أحوال الإنسان الذي تجدد تختلف كل الاختلاف في الفعل والقول والفكر عن الحالة الأولى كأنه إنسان أخر. أيها المؤمن تصرف في حياتك كتصرف من أشترى بدم المسيح "إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥ : ١٤ ، ١٥) فواجب المؤمن أن يعيش حياته للمسيح "لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نح . لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات" (رو ١٤ : ٨، ٩) وكقوله أيضا "وإنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو ٦ : ١٩ ، ٢٠).

إن موت يسوع على الصليب أعطى له حق ملكية كل مسيحي ، لذلك ليس من اللائق ولا من الأمانة أن لا نعطيه ملكاً كاملاً علينا ، فهو له الحق أن يملكنا لأن الشراء يمنح الحق ، والإنقاذ يمنح الامتلاك . وبما أن يسوع اشترانا فلنسلمه نفوسنا . إن أحد الخطاة إذ كان سائراً ذات يوم في قرية دخل كنيسة صغيرة ، وإذ وجد هناك رسماً يبين آلام السيد على الصليب تأمل فيه ملياً . وإذ كانت عيناه مثبتتين في منظر المحبة المتألمة لاحظ هذه الكلمات التى نقشت تحت الرسم : "عاش المسيح ومات لأجلك فلمن تعيش ولمن تموت أنت الآن !" فذاب قلبه وسلم نفسه ليسوع في الحال ، وقام إنساناً جديداً وتغيرت حياته كلها .

فلمن تريد أن تحيا بعد ذلك أيها المسيحي. هل لفاديك أم للشيطان؟ لروح أبيك أم لشهوات نفسك؟ الذي مات لأجلك أم لمن يريد أن يميتك؟ يسوع بمحبته يرغب أن نحيا له لأنه عاش لنا وأفنى حياته في حبنا، كما أن محبته تحثنا على تقديم ذواتنا له كقول الرسول "لأن محبة المسيح تحصرنا" (٢كو ٥ : ١٤) أي أنها تجبرنا على أن نحيا له.

أسأل نفسك أيها المسيحي "لمن كانت حياة المسيح . أليس لي ؟ لماذا إذاً لا تكون حياتي كلها له !" ولماذا لا نكون له وهو الذي قال "وأنا كذلك لك" (هو ٣ : ٣).

إن "حياة المسيح لنا" .. لأنه بذلها لأجلنا "الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه" (١تس ٥ : ١٠) .

و "وقته لنا" .. ففي الماضي كان يدبر أمر خلاصنا "كما اختارنا إليه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" (أف ١ : ٤) . وهو الآن "عن يمين الله .. يشفع فينا (رو ٨ : ٣٤) وإلى الأبد "نكون كل حين مع الرب" (اتس ٤ : ١٧).

و "يداه لنا" .. ثقبتا لأجل خلاص العالم . رفعتا بالبركة يوم صعوده . يفتح يده فيشبع كل حي رضى (مز ١٠٤ : ٢٨).

و "رجلاه لنا" .. فقد دقت فيها المسامير ، وسعى بهما العالم وهما موضع راحتنا . فكم من مرضي متألمين وحزانى "طرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم" (مت ١٥ : ٣)

و"عيناه لنا" . . فقد بكتا علينا "بكى يسوع" (يو ١١ :٣٥) . . "عينا الرب نحو الصديقين" (مز ٣٤ :١٥) .. وهو لا يحوِّل نظره عنّا، بل يرمقنا كل حين بمحبة فائقة. تحوِّل الأم نظرها عن ولدها، أما عينا الرب فعلينا دواماً، تُلاحِظاننا في الليل والنهار "لا ينعَس حافِظك" (مز ١٢١ :٣)

و"أذناه لنا".. كَمْ سَمِعَتا زفرات اليائسين، كَمْ مالَتا لصراخ المستغيثين، كَمْ سمِعَتَا صلوات المُتضايقين. "أذناه إلى صراخهم .. أولئك صرخوا والرب سمع." (مز ١٧،٣٤ :١٥)

و"صوته لنا" .. فبصوته الحنون يُناديناً لنفتح له أبواب قلوبنا "صوت حبيبي قارعاً. افتحى لي يا أختي، يا حبيبتى، يا حمامتي، يا كاملتي" (نش ٥ :٢). وبه يدعونا إلى راحته "تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين و الثقيلي الأحمال وأنا أُريحكُم." (مت ١١ :٢٨)

و"غِناه لنا" .. أليس هو الذي قيل عنه "إنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستَغنوا أنتم بفقره."؟ (٢كو ٨ :٩)

و"حِكمته وعِلمه لنا" . . كما قال الرسول "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة و العلم" (كو ٢ :٣)، فهو يستخدم حكمته في تهذيبنا، وعلمه في إرشادنا.

و"قلبه لنا" .. كقوله مُخاطِباً كنيسته "قد سبيت قلبي يا أختي العروس." (نش ٤ :٩).. كيف لا وهو القائِل "صار قلبي كالشمع، ذاب في وسط أمعائي"؟ (مز ٢٢ :١٤)

و"محبته لنا" .. فإن كان "الله محبّة" فلأنه يحبنا "محبة أبدية أحببتك." (إر ٣١ :٣)

فيا أيها النفس: أي مجد فزت به وأي سعادة حصلت عليها حينما يخاطِبك إلهك قائلاً: "وأنا كذلك لكِ."؟ فماذا تريدين أن تجاوبي ذلك المُخاطِب الأمين؟! قولي له بلا تردُّد (وأنا كذلك لكَ) . قال له المجد "ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق." (يو ١٧ :١٩)

و"حياتي لك" .. وهل أستطيع أن أحيا لغيره بعد؟! فلأجله أحفظ حياتي. أحفظها له حياة لا تجول بعد في دائرة القلق والاضطراب، لأنها وجدت مركزها الحقيقي واتجهت نحو غرض سام جداً .. أيها العالم، أيها الشيطان، أيتها الخطيّة، لم يبق لكم بعد نصيب في حياتي، لقد سَلَّمتها ليسوع وحده؛ لأنه هو دون سواه الذي مات عنّي.

و"وقتي لك" .. إني أحزن لأن ليس لي حياة طويلة أصرفها في خدمته. أيّة قيمة لعمري القصير لو قضيته كلّه طائِعاً ربي؟ ليت لي ألف حياة لتكون له. إنه يحرسني ليلاً ونهاراً و أنا افتكر فيه ليلاً و نهاراً. فيا نفسي، لا تَصْرِفي دقيقة واحدة لخدمة أحد غير يسوع. ومن غيره يستحِق وقتي؟! إن وقتي كلّه قد افتدى، فلأستعمِله كعطية مقدسة في المسيح.

و"يداي لك" .. فإليه أرفعهما، وإن سألني ما هذا الذي في يديك، أجيب: رائحة سرور الرب. نعم يا رب، سأنفض يدي من كل غبار عالمي حتى تقول (إن هذه اليد لي) .. نعم، لا أعود أتناول بها شيئاً رديئاً، بل أتناول بها كتابك وأمدها لعمل الخير.

و"قدماي لك" .. فبهما أسعى في طريق الصلح والسلام لأستحق أن يُقال عنّي "ما أجمل أقدام المُبَشِّرين بالسلام" (رو ١٠ :١٥). سأنطلق بهما إلى بيتك وأصعد إلى جبل صهيون، وأتقدَّم بهما إلى غيرة مقدسة "فرحت بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب" (مز ١٢٢ :١). سأسمع صوتك "امنع رجلك عن مسالكهم" (أم ١ :١٥)، حتى تكون خطواتي متشابهة لخطوات سيدي المحبوب "الذي جال يصنع خيراً" (أع ١٠ :٣٨).

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

"صوتي وشفتاي لك" .. فلك وحدك أغنّي، ولن أحرك لساني إلا بشكرك والتحدُّث بفضلك. "حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي، أن يُخَبَّر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة" (مز ٩٢: ١-٣) .. فيا إلهي "تبتهج شفتاي إذ أُرنِّم لك، ونفسي التي فديتها. لساني اليوم كلّه يلهج ببرِّك" (مز ٧١ :٢٣ و٢٤). خذ يا رب شفتي وتكلم بواسطتهما. مِسَّهُما يا رب بجمرة من على مذبحك الطاهِر، وقُل لي يا إلهي: "قد مست شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك" (إش ٦: ٧).

"كل ما لي فهو لك" .. يا رب، إني لا أشعر أن لي شيئاً أخبئه عنك. خذ كل ما لي لأني أنا لك، فكل ما لي هو لك، كلما أرى الدم القاطِر من جنبك، أحتقِر أمامه كل جواهر العالم "لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة" (في ٣: ٧).

"عقلي وفِكري لك" .. فهو هديتك إليَّ، ومن الواجب أن أردها إلى مُهديها. وهل أستطيع أن أفكِّر إلا فيك؟! إني أستأسِر كل فكر إلى طاعة المسيح (٢كو ١٠: ٥). كَمْ يشتهي العالم أن أُفكِّر فيه و لكنه عدوى كيف أفكر فيه. أما أنت فحبيبي الوحيد، ولا يحلو للحبيب إلا التفكير بحبيبه "تحت ظِلّه اشتهيت أن أجلس" (نش ٢: ٣). فالتفكير فيك هو سعادتي ولذتي وبهجة قلبي "امتحنى واعرف أفكاري" (مز ١٣٩: ٢٣). لكي تقول لي "أفكار الصدِّيق عدل" (أم ١٢: ٥).

"إرادتي لك" .. أنت العامِل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرّة. (في ٢: ١٣) فلك أخضع إرادتي، بل ألاشيها؛ أما إرادتك فإنها تدوم وحدها "لتكن مشيئتك" (مت ٦: ١٠). "وليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (مت ٢٦: ٣٩)، ذلك لأني أؤمن أنك تحبني وإني إن سَلَّمت لك إرادتي، فإنك تعمل لخيري أكثر مما أعمل أنا لخير نفسي.

"قلبي لك" .. "حسن أن يثبت القلب بالنعمة" (عب ١٣: ٩)، قلت لي "أعطني قلبك"، خذه .. فهو لك. وهل أقوى أن أسكِن أحداً غيرك في دارك الخاص؟! فهو عرشك المُقدَّس، اجلس عليه وتَسَلَّط يا يسوع، وأعطني قلباً نقيّاً (مز ٥١: ١٠)؛ قلباً ثابتاً فيك أيها المسيح، لا يشتهي غيرك، بل يدوم مشكلاً عليك فتنيره وتُصَيِّرُه سماء طاهرة في داخلي.

"عيناي لك" .. أنت تنظر إليَّ، فكيف لا أنظر إليك؟!. "حوِّل عيني عن النظر إلى الباطل" (مز ١١٩: ٣٧)، أحفظهما لك لأرفعهُما إليك (مز ١٢٣: ١). اجعلنى أرى بهما طريق السماء فأسلك فيه "اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك" (مز ١١٩: ١٨). ليكُن كل شئ شنيعاً أمام عيني إلا وجهك، حتى لا أنظر إلى غيرك يا مُخَلِّصي العزيز.

"أذناي لك" .. فبهما أميل إليك لأسمع صوتك "خرافي تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعني" (يو ١٠: ٢٧). ما أحلى صوتك لأذني، وما أجمل وقعه عليهما. صوت العالم يصدعهما لأنه يدعوني إلى الهلاك، أما صوتك فهو حلو لأنه يُناديني إلى المجد الأبدي. فأصغى يا أذني إليه وأميلي إليه بسمعك و اعرفى صوته حتى إذا ناداني أقول له "تَكَلَّم يا رب، لأن عبدك سامِع" (١صم ٣: ٩، ١٠).

"محبتي لك" .. ها أنا أسمع صوتك الرخيم العَذب سائلاً إياي: "أتُحِبَني؟"، "يا رب، أنت تعلم كل شئ .. أنت تعرف إنّي أُحِبَك" (يو ٢١: ١٧)، كيف لا أحبك يا رب وقد خلقتني لأحبك؟! إن لي كنز حب، كلما انسكبت منه المحبة زاد إمتلاء. لا أقدر أن أحب غيرك، فوحدك أحب، لأنه لك يُفكِر في خلاصي سواك، فإن أحببتك فلأني مديون بحبك.

* * *

أيها المسيحي، هل تحب أن تنظر إلى الشر؟ انظر، ولكن ليس بعينين بكى المسيح لأجلهما حتى يَنظُرا إليه دوماً.

أتريد أن تسِب غيرك؟ افعل، ولكن ليس بلسان دفع المسيح ثمنه على الصليب، عندما شرب المُرّ عنه ليسبحه ويمجده.

أتريد أن تَسعى إلى الشر؟ اسع، ولكن ليس بقدمين سُمِّرَت قدما المسيح عِوضهما لِيَسلُكا في طريقه.

أتُريد أن تسمع الكلمات الدنسة؟ اسمع، ولكن ليس بأذنين تألمت أذنا المسيح بالتعيير لأجلهُما ليحفظهما لِسماع كلمته المقدسة.

أتريد أن تجعل قلبك موضِعاً للخطية؟ اجعل، ولكن ليس بقلب طُعِنَ المسيح لأجله ليكون هيكلاً مقدساً لروحه.

سيدي يسوع .. إني أريد أن أموت حباً فيك، كما مت أنت حُبَّاً فيَّ .. لا أريد من الآن أن أعيش لنفسي، بل لك وحدك .. فلك أعيش ولك أموت، كما عِشت ومت أنت لي .. "اجذبنى وراءك فنجري" (نش ١: ٤).

ليطفأ كل شوق للعالم فيَّ، ولتضطرم في قلبي نار حبك إلى الأبد.

صورة الحكم على السيد المسيح

لزيادة الفائدة قد رأينا أن نورد هنا نص الرسالة الواردة من أورشليم من يوليوس والي اليهودية إلى المحفل الروماني بمدينة رومية، وكذا صورة الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي والي ولاية الجليل على يسوع المسيح الناصري بالموت صلباً.

(أولاً) صورة الرسالة الواردة من يوليوس والي اليهودية إلى المحفل الروماني بمدينة رومية:

أيها القيصر أمير رومية:

بلغني أيها الملك قيصر أنك ترغب معرفة ما أنا أخبرك به الآن، فاعلم أنه يوجد في وقتنا هذا رجل سائر بالفضيلة العُظمى يُدعى يسوع، والشعب مُتَّخِذه بمنزلة نبي الفضيلة، وتلامذته يقولون أنه ابن الله خالق السموات والأرض وبها وجد ويوجد فيهما. فبالحقيقة أيها الملك أنه يومياً يُسمَع عن يسوع هذا أشياء غريبة؛ فيقيم الموتى ويشفي المرضى بكلمة واحدة. وهو إنسان بقوام معتدل ذو منظر جميل للغاية، له هيبة بهيّة جداً، حتى أن مَنْ ينظر إليه يلتزم أن يحبّه ويخافه. وشعره بغاية الاستواء مُتَدَرِّجاً على أذنيه ومن ثم إلى كتفيه بلون ترابي، إنما أكثر ضياء. وفي جبينه غره كعادة الناصريين، ثم جبينه مسطوح، وإنما بهج، ووجهه بغير تجعيد بمنخار معتدل وفم بلا عيب. وأما منظره فهو رائق ومسر وعيناه كأشعة الشمس، ولا يمكن لإنسان أن يحدق النظر في وجهه نظراً لطلعة ضيائه. فحينما يوبخ يرهب، ومتى أرشد أبكى، ويجتذِب الناس إلى محبته. تراه فرحاً وقد قيل عنه إنه ما نُظِرَ قط ضاحِكاً، بل بالحري باكياً وذراعاه ويداه هي بغاية اللطافة والجمال.

ثم إنه بالمفاوضة يأسر الكثيرين، وإنما مفاوضته نادرة، وبوقت المفاوضة يكون بغاية الاحتشام فيخال بمنظره وشخصه أنه هو الرجل الأجمل ويشبه كثيراً لأمه التي هي أحسن ما وجد بين نساء تلك النواحي. فإذا كنت ترغب يا قيصر أن تشاهِده إعلمني، وأنا أرسله إليك حالاً من دون إبطاء. ثم أنه من جهة العلوم أذهل مدينة أورشليم بأسرها لأنه يفهم كافة العلوم بدون أن يدرس شيئاً منها البتة، ويمشي حافياً عريان الرأس نظير المجانين! فكثيرون إذ يرونه يهزأون به، ولكن بحضرته وبالتكلُّم معه يرجف ويذهل.

وقيل لم يُسمَع عن مثل هذا الإنسان في التخوم. والحقيقة كما تأكدت من العبرانيين أنه ما سمع قط روايات علمية كمثل ما نعلم عن يسوع هذا. وكثيرون من علماء اليهود يعتبرونه إلهاً ويعتقدون به، وكثيرون غيرهم يبغضونه ويقولون إنه مُضاد لشرائع جلالتك. فتراني قلقاً من هؤلاء العبرانيين الأردياء. ويُقال إنه ما أحزَن أحداً قط، بل بالعكس يخبر عنه أولئك الذين عرفوه واختبروه إنهم حصلوا منه على إنعامات كلية وصحة تامة. وإني بكليتي ممتثل لطاعتك ولإتمام أوامر عظمتك وجلالتك.

يوليوس ستوس

والي اليهودية

(ثانياً) صورة الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي والي ولاية الجليل على يسوع الناصري بالموت صلباً:

في السنة السابعة عشرة من حكم الإمبراطور طيباريوس الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر أزار بمدينة أورشليم المقدسة، في عهد الحبرين حنان وقيافا، حكم بيلاطس والي الجليل، الجالِس للقضاء في دار ندوة مجمع البروتوريين على يسوع الناصري بالموت صلباً بناءً على الشهادات الكثيرة المبنية المقدمة من الشعب، المثبتة أن يسوع الناصري:

(أولاً) مُضِل، يسوق الناس إلى الضلال

(ثانياً) يغري الناس على الشغب والهياج

(ثالثاً) عدو الناموس

(رابعاً) يدعو نفسه ابن الله

(خامساً) يدعو نفسه ملك إسرائيل

(سادساً) دخل الهيكل ومعه جمع غفير من الناس حاملين سعف النخل

فلهذا يأمر بيلاطس البنطي كونيتيوس كرنيليوس قائد المئة الأولى أن يأتي يسوع إلى المحل المُعَد لقتله، وعليه أيضاً أن يمنع كل مَنْ يتعدّى لتنفيذ هذا الحكم، فقيراً كان أم غنياً. وأن يؤتى به إلى خارج مدينة أورشليم من باب الطوراني.

وهذه أسماء الذين وقعوا على تنفيذ الحكم على يسوع:

دانيال روباني فريسي، يوحنا زرو بابل، رفاييل روباني، كابيت.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

آراء كل من أعضاء مجمع اليهود قبل أن يرفعوا قرارهم إلى الوالي:

١.	سمعان الأبرص	لماذا يُحكَم على هذا البار؟!
٢.	يورام	هو العاصي الذي يستحق الموت حسب الشريعة.
٣.	باراباس	انزعوا منه الحياة.. انزعوه من الدنيا!!
٤.	بارباس	حيث أنه هيَّج الشعب فيستحق الموت.
٥.	تبراس	فليُطرَح في هاوية الشقاء!
٦.	أتلومبه	لماذا كل هذه المدة ولم يُحكَم عليه بالموت؟!
٧.	يوشافاط	اتركوه في السجن.
٨.	سابس	إن كان باراً أو لم يكن فمستحق كأس الحمام حيث أنه لم يحفظ شريعة آبائنا.
٩.	بيلاطس البنطي	إني برئ من دم هذا البار
١٠.	ساسبل	فلنقاصه حتى في المستقبل لا يكرر ضدنا.
١١.	أتاس	لا يجب الحكم أبداً على أحد ما لم تسمع له.
١٢.	نيقوديموس	إن شريعتنا لا تُصرِّح بالحُكم على أحد ما لم تؤخذ أولاً أقواله والأخبار عمّا فعل.
١٣.	فوطيفار	إن هذا الإنسان بصفته خَدَّاع، يُطرد من المدينة.
١٤.	روسموفين	ما فائدة الشريعة إن لم تُحفظ؟!
١٥.	هاريس	إن كان باراً أو لم يكن، فحيث أنه هيَّج الشعب بكرازته، فهو يستحِق العقاب.
١٦.	ريفاد	اجعلوه أولاً يعترف بذنبه ومن ثم عاقِبوه.
١٧.	يوسف	إن لم يكن أحد يُدافع عن هذا البار فعارٌ علينا!
١٨.	سوباط	الشرائع لا تحكم على أحد بالموت بدون سبب.
١٩.	ميزا	إن كان باراً فلنسمع منه، وإن كان مُجَدِّفاً فليُطرَد.
٢٠.	رحبعام	نحن لنا شريعة وبموجبها يجب أن يموت.
٢١.	قيافا	الأجدر أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة بأسرها!!

انتصار المصلوب

لقد وقعت مأساة الصليب التى لم ير العالم نظيرها وسجلت على البشرية ضعفها وقساوتها وظلمها وإنكارها للجميل ،وتركت من بعدها ذكريات مفجعة تصور لنا درجة الفساد الذى رزحت تحت عبئه الثقيل كل البشرية بلا استثناء، لا فرق بين يهودى أو أممى ،عالم أو جاهل ،حاكم أو محكوم، فعلى القدوس البار تآمروا و أنكروه ورئيس الحياة شهدوا عليه زورا وقتلوه (أع ٣: ١١-١٥).

وبالرغم من احتجاج الطبيعة نفسها ورائع أدلتها فقد أصروا على عنادهم فضاعفوا بذلك آلام مخلصهم ،وما أكثر شماتتهم لما سمعوه يسلم الروح (يو١٩:٣٠).

مات السيد ولم يعد هناك شك فى أنه قد مات ،مريم أمه والمريمات كن واقفات عند الصليب القبر ،وقد تحققن أنه مات (يو١٩:٢٥).

ذهب أعداؤه فرحين مسرورين ،وهرب تلاميذه خائفين مذعورين ولكن كان العطف عليه كامنا فى صدور الأصدقاء والمحبين ،فيوسف الذى من الرامة سأل بيلاطس بذلك وكان نيقوديموس قد جهز أطيب الحنوط وبعد أن حنطاه دفناه برهبة فى قبر جديد منحوت فى بستان (يو١٩:٤١).

أما مريم المجدلية فلم تطق صبرا فقامت والظلام باق وتوجهت إلى حيث السيد فكانت أول من حمل بشارة القيامة إلى جماعة التلاميذ والى العالم بأسره ، وأول من حرك نسيم الرجاء إلى القلوب المتلهفة .فيا لجلال الساعة ورهبتها .ساعة ما أبهجها ،وما أحلاها، نبت فيها غصن من بيت داود لا فى البرية كما صلب ، بل فى بستان ،فنما وأزهر ، وبين ورود الربيع علا وترأس ،فصار كالتفاح بين الوعر (نش ٢:٣) اخرجن يا بنات أورشليم و انظرن الملك سليمان بالتاج (نش ٣:١١) فأن معمعة الحرب لم تؤذه وكما كان فى ميدان الجلجثة مرتفعا عن الكل يعالج بحسن سياسته تطور المعارك كذلك يتقدمنا بعد النصرة فى بستان السلام وهو يعد لنا مكانا . فإهدأى أيتها النفوس المنزعجة فأن سيدك قام وفى قيامته المباركة نرى :

أولا –حقيقة قيامة الأموات وهذه من أقوى أسس المسيحية التى لا يبقى للإيمان بعدها من قيمة تذكر "فأن لم تكن قيامة أموات فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم" (١كو١٥ :١٣-١٤) وهى مظهر النصرة وجلال الغلبة وثمرة الجهود وتثبيت العهد وعنوان الحب ينبوع الخير ورسالة المجد العتيد .هى رجاء المنتقلين وتعزية الحزانى على فراق المحبين ،لا تسلية روحية تقوم بدونها ، ولا مخفف لهول الموت إلا مع ذكرها . فعلى الرجاء نحيا وعلى الرجاء نفارق الحياة (١كو ١٥ :٣٠-٣١).

فيا نفسى اذكرى على الدوام قيامة سيدك الذى قام بعد الموت لتعرفى كم هو مضمون أن يقيمنا معه من الموت وهو حى .

ثانيا-تشجيع المؤمنين على عمل الخير فما داموا واثقين بالحياة الأخرى هانت عليهم تضحياتهم وحسبوا مدة الآلام لتزكيتهم فازدادوا فى عمل الخير "راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب" (١كو ١٥:٥٨) واضعين نصب أعينهم تلك الغاية السامية وهى إكليل المجد المعد للأبرار المخلصين .

ولا شك أن مجد قيامتنا وجلاله ينبثق من فجر قيامة فادينا و باهر انوراها "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات .لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم" (١بط١: ٣-٤).

وبالإجمال نقول إن بركات القيامة الكثيرة لا تستطيع لغة البشر أن تعبر عنها ولولاها لكنا أشقى جميع الناس (١كو ١٥:١٩) ويكفى أنها أزالت سلطة الموت والخطية حتى أصبحنا بهتاف المنتصرين نقول "أين شوكتك يا موت .أين غلبتك يا هاوية" (١كو ١٥ :٥٤-٥٥).

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

اكتشاف الصليب المجيد

في سنة ٣٢٦م سافرت من القسطنطينية إلى أورشليم الملكة القديسة هيلانه والدة الملك البار قسطنطينوس الكبير لزيارة تلك الأماكن المقدسة التى تم فيها عمل الفداء.

وبعد الزيارة اهتمت بالبحث عن قبر فادينا يسوع المسيح وصليبه الكريم فقدموا لها رجلا متقدما فى الأيام وله خبرة بالتاريخ يدعى يهوذا وهو أحد شيوخ اليهود فسألته عن ذلك فأجابها قائلا إن قبر يسوع الناصرى يوجد بكوم الجلجلة (١) ففى الحال أمرت الملكة بإزالة ذلك الكوم فأزالوه وظهر القبر المقدس ، وبجانبه أيضا وجدت المغارة وبداخلها ثلاثة صلبان ثم مسامير مع اللوح الذى علقه بيلاطس على عمة الصليب . مكتوبا عليه (يسوع الناصرى ملك اليهود) و لأجل معرفة أى الثلاثة الصلبان هو صليب المسيح احضروا ميتا أمام الملكة ثم وضعوا على الجثة الصليب الأول ثم الثانى فلم يقم الميت ، ولما وضعوا عليها الصليب الثالث قام الميت ومشى فى الحال ،مقدما الشكر لله تعالى . فعلموا أنه هو الصليب الذى صلب عليه مخلص العالم.

فسجدت الملكة البارة للصليب الكريم وكذا كل المؤمنين الحاضرين واعتنق جمع غفير من اليهود الديانة المسيحية. ثم نقلته الملكة باحتفال عظيم ووضعته في خزانة من الفضة وشيدت كنيسة عظيمة علي اسمه.

---

(١) لما رأى اليهود حدوث الآيات الكبيرة من قبر المخلص مثل إبراء المقعدين و إقامة الموتى و غير ذلك غضبوا جداً و نادوا فى جميع اليهودية و أورشليم: من كان عنده تراب فلا يرميه إلا على قبر يسوع الناصرى ، و استمروا على ذلك نحو ٢٠٠ سنة فتكون هذا التل أو الكوم العظيم.

Copyright © 2004-2005 www.FreeCopticBooks.com

إعادة الصليب المجيد

اغتصب ملوك الفرس ممتلكات الرومان ومنها أورشليم حيث أخذوا صليب السيد إلى ديارهم وأسروا أسقفها ولم استرد هرقل هذه فيما بعد أرجع خشبة الصليب .

ولما بالصليب إلى باب القيامة وقصد أن يدخل الكنيسة بأبهة ومجد حاملا إياه علي كتفه ، ثقلت عليه جدا ولم يستطيع أن يخطو عتبة الكنيسة فحار جدا . فدنا منه كاهن وقال له:

أيها الملك: إن مولاك دخل من هذا المكان حاملا الصليب وإكليل العار علي هامته المقدسة. فإن كنت ترغب أن تماثله فليزم أن تخلع عنك وشاحك الملكي وتدخل بالصليب كأحد أفراد الشعب ليتسنى لك الدخول .

فنزع الملك وشاحه وتاجه المرصع وحمل الصليب فدخل بكل راحة.

هذه النسخة الإلكترونية نسخة مبدئية
فبرجاء إن وجدت أى أخطاء أو إن كانت لديك اقتراحات إرسال بريد إلكترونى على أحد العناوين التالية:

CopticBooks@softhome.net
CopticBooks@gmail.com

لتكون أول من يعلم بأخر الإصدارات و احدث الكتب بالموقع اشترك فى مجموعتنا الإخبارية:
ارسل بريداً إلكترونياً فارغاً إلى العنوان التالى

FreeCopticBooks-subscribe@yahoogroups.com

و نرجو أن تذكروا الخدمة فى صلواتكم